فلسفة الطبيعة كأساس للاهوت الفلسفي عند إكسينوفانيس

أ.م.د. شرف الدين عبد الحميد أمين

كلية الآداب – جامعة سوهاج

الملخص: تعالجُ أطروحتُنا الحاليةُ **فلسفةَ الطبيعةِ** "φύσις" **كأساسٍ للاهوت الفلسفي،** الذي قدمه الفيلسوفُ اليوناني **إكسينوفانيس** "Ξενοφάνης" في القرن السادس قبل الميلاد. **هذا اللاهوتُ الفلسفي الذي ربما يمثل المحاولةَ الأولى في تاريخ الفلسفة الغربية، التي بلغ فيها العقلُ الفلسفيُ قدرتَه النقديةَ الكاملة.** إن **إكسينوفانيس هو أولُ ناقدٍ غربي للعقل الأنثروبومورفي (التجسيمي/ التجسيدي)؛ أي العقل الذي يعمل بشكلٍ دائمٍ على "أنسنة الإله".** وسأحاولُ أن أبينَ: **أنَّ هذا اللاهوت الفلسفي قد تأسس على فلسفة طبيعية جديدة شيَّدها إكسينوفانيس، على منهجٍ علمي استقرائي، لا على مجرد ملاحظاتٍ عابرةٍ حول عدد من المستحثات (الأحافير) هنا وهناك. وفي ذلك أسعى لمحاولة تحقيق هدفين: الأول: تأكيد على صفة الفيلسوف لإكسينوفنيس تلك الصفة التي نفاها أرسطو وتبعه طابورٌ طويلٌ من المؤرخين حتى جادامير وتشيرنس في عصرنا الحالي؛ على اعتبار أن إكسينوفانيس مجرد لاهوتي راوٍ للملاحم الأسطورية دخل الفلسفة بطريق الخطأ! الثاني: إثبات أن لإكسينوفانيس فلسفةً طبيعيةً جديرةً بالتقدير، هي التي أقام عليها تصوراتِه اللاهوتيةَ في التوحيد الإلهي.**

Abstract:

Physics as a Basis for the Philosophical Theology in Xenophanes

Our current thesis deals the **"φύσις, Physics"** as a basis for philosophical theology, which was introduced by the Greek philosopher Xenophanes Ξενοφάνης in the sixth century B.C. This philosophical theology, perhaps the first attempt in the history of Western philosophy, in which the philosophical mind attained its full critical potential. **Xenophanes is the first Western critic of the anthropomorphic mind. That is, the mind that is constantly working to "humanize God".**I will try to show: This philosophical theology has been based on a new **Physics** that Xenophanes built on an inductive scientific method, not on mere passing observations about a number of fossils here and there.**In that, I strive to achieve two goals :The first: Confirmation of the philosopher's characteristic of Xenophanes, a trait was denied by Aristotle and followed by a long line of historians until Gadamer and** Cherniss **in our present era; Depending on that the Xenophanes is just a theologian and narrator of mythical epics, he entered philosophy by mistake! The second: To prove that Xenophanes has a worthy Physics, on which he based his theological conceptions of divine monotheism.**

المقدمة

تعالجُ أطروحتُنا الحاليةُ **فلسفةَ الطبيعةِ كأساسٍ للاهوت الفلسفي**، الذي قدمه الفيلسوفُ اليوناني **إكسينوفانيس** في القرن السادس قبل الميلاد. **هذا اللاهوتُ الفلسفي الذي ربما يمثل المحاولةَ الأولى في تاريخ الفلسفة الغربية، التي بلغ فيها العقلُ الفلسفيُ قدرتَه النقديةَ الكاملة.** إن **إكسينوفانيس هو أولُ ناقدٍ غربي للعقل الأنثروبومورفي (التجسيمي/ التجسيدي)؛ أي العقل الذي يعمل بشكلٍ دائمٍ على "أنسنة الإله".**

وسأحاولُ أن أبينَ: **أنَّ هذا اللاهوت الفلسفي قد تأسس على فلسفة طبيعية جديدة شيَّدها إكسينوفانيس، على منهجٍ علمي استقرائي، لا على مجرد ملاحظاتٍ عابرةٍ حول عدد من المستحثات (الأحافير) هنا وهناك.**

وفي ذلك أسعى لمحاولة تحقيق هدفين: الأول: تأكيد على صفة الفيلسوف لإكسينوفانيس تلك الصفة التي نفاها أرسطو وتبعه طابورٌ طويلٌ من المؤرخين حتى جادامير وتشيرنس في عصرنا الحالي؛ على اعتبار أن إكسينوفانيس مجرد لاهوتي راوٍ للملاحم الأسطورية دخل الفلسفة بطريق الخطأ! الثاني: إثبات أن لإكسينوفانيس فلسفةً طبيعيةً جديرةً بالتقدير، هي التي أقام عليها تصوراتِه اللاهوتيةَ في التوحيد الإلهي.

إشكالية البحث

وعليه؛ سأحاولُ، في هذا البحث، الإجابةَ عن التساؤلات الرئيسة الآتية:

- **ما طبيعة النفي الأرسطي لإكسينوفانيس وفلسفته؟ وكيف استمر إلى العصر الحديث؟**
- **هل لإكسينوفانيس فلسفة طبيعية؟ وما حقيقة هذه الفلسفة؟**
- **هل يمكن أن نعد فلسفةَ إكسينوفانيس الطبيعية أساسًا لفكره اللاهوتي وتأسيسًا له؟**

- **ما الجوانب اللاهوتية التي استخلصها إكسينوفانيس من فلسفته في الطبيعة؟**

وغيرها من التساؤلات التي يمكن أن تثيرها الفلسفةُ الطبيعيةُ الإكسينوفانية. أما بخصوص المنهج الذي سوف أستخدمه في أطروحتنا هذه، فهو **المنهج الهرمنيوطيقا**(*) **(فنُّ الفهم، ومنهجُ تأويلِ النصوص)**.

وبناءً على ذلك؛ سوف أقسمُ البحثَ إلى المحاور الآتية:

- **في نفي أرسطو ومَنْ تَبِعَهُ لإكسينوفانيس وفلسفته الطبيعية.**
- **الفيزيس φύσις وميثودولوجيا "ملاحظة المستحثات".**
- **الثيولوجيا المُؤَسَسَةُ على الفيزيقا.**

وفيما يأتي تفصيلٌ مناسبٌ لكلٍ من هذه المحاور الثلاثة:

أولاً: في نفي أرسطو ومَنْ تَبِعَهُ لاكسينوفانيس وفلسفته الطبيعية

يحاولُ كثيرٌ من البحَّاثَة- منذ أرسطو إلى اليوم- إخراج **إكسينوفانيس الكلوفوني (Ξενοφάνης ὁ Κολοφώνα)**، ليس فقط من جملة الفلاسفة الإيليين، بل ومن جملة تاريخ الفلسفة برمته؛ باعتباره مجردَ شاعرٍ دخلَ تاريخَ الفلسفةِ بالخطأ!

(*) **Hermeneutics (فنُّ الفهم، ومنهجُ تأويل النصوص):** تأتي كلمة هرمينوطيقا (ἑρμηνευτική) من الفعل اليوناني (ἑρμηνευειν) ويعني "يفسر" أو يؤول. ويؤوَّل في اليونانية له معانٍ ثلاثة: ١. يعبر بصوت عالٍ في كلمات، أي "يقول" أو "يتلو"، ٢. يشرح، ٣. يترجم (عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ص ٣٤-٣٥). والاسم: هِرمينيا (ἑρμηνεια)، ويعني تفسير أو تأويل؛ وهو متعلق بعنوان كتاب أرسطو: ***بيري هيرمينياس*** (**περι ἑρμηνείας**). الذي ترجم إلى العربية بـ(عن العبارة). ويبدو أن كليهما يتعلق لُغويًا بالإله **هرميس (Ἑρμῆς)**، رسول آلهة الأوليمبوس، الذي كان يقوم بعملية تأويل أو تفسير كلام الآلهة من أجل توصيله إلى بني البشر (راجع محاورة كراتيليوس لأفلاطون)؛ ومن ثم فإن التأويل مرادف للهرمنيوطيقا (مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٦٦٤-٦٦٥، مادة هرمنيوطيقا).

حين يتحدث **أرسطو**[١] عن إكسينوفانيس يقول: "**لمْ يعطْنا عبارةً واضحةً، كما أنه لم يدركْ فيما يبدو هذين النوعين من الوَحْدَة (يعني الوَحْدَة المادية، والوَحْدَة الصورية للكون)، لكنه تأمل السماءَ ككل (الكون بأسره)، ثم قال: "إن الواحد هو الإله"**. إن تلك المقولة الأرسطية إن هي إلا اتهامٌ واضحٌ من أرسطو بعدم قدرة إكسينوفانيس على الفهم؛ وليس بسبب أن إكسينوفانيس "**لمْ يبنِ حججَه بشكل جيد**"، كما يقول فيلسوفُ العلم المعاصر، **بول فييرآبند** "**Paul Feyerabend**"[٢]. ويخلصُ أرسطو إلي القول، الذي صار حكمًا تاريخيًا مقبولاً، في كثير من الأحيان، دون نقض: "إن هؤلاء المفكرين ينبغي كما سبق أن ذكرنا إهمالُهم أو التغاضي عنهم بالنسبة لأغراض بحثنا الحالي، **فنتغاضى عن اثنين منهم بسبب سذاجتهم التي لاحد لها، وأعنى بهما إكسينوفانيس وميليسوّس**– أما **بارمينيديس** فيبدو أنه كان يتكلم ببصيرة أكثر منهما". إنه حكم بالنفي؛ يتجاوزُ عدمَ الفهمِ الذي وَسمَ به أرسطو إكسينوفانيس إلى اتهامه بالسَذَاجة ووجوب تجاهل أطروحاته. **هكذا! لمْ يكتفِ أرسطو بحذف نصوص مؤسس المدرسة الإيلية (حسب رأي أرسطو نفسه!)، بل تقدم درجةً فحذف إكسينوفانيس ذاته من سجل الفلاسفة. مع أن إكسينوفانيس هو (حسب رأي أرسطو أيضاً!) أستاذ بارمينيديس الذي يعجب به أرسطو، ويعده أول مدرسة الواحديين "Monists"[٣]. " ο μονισμος η ενισμος؛ أي الذين هم من أنصار الواحد "ἑνίζοντες"**.

لكن– حتى قبل أرسطو– يمكن إرجاعُ جذورِ هذا النوع من السخرية من إكسينوفانيس، إلى سخرية أقدم تعود إلى الفيلسوف **هيراكليتوس** "**Heraclitus**"، وهو

---

(١) أرسطو: الميتافيزيقا، الكتاب الأول، مقالة الألفا الكبرى، ف ٥، ٩٨٦ ب ٢٢، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ترجمة كاملة لكتاب ميتافيزيقا أرسطو، ضمن كتاب مدخل إلى الميتافيزيقا، نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠١٤م، ص ٢٧٨.

(2) Paul Feyerabend, Reason, Xenophanes and the Homeric Gods, Kenyon Review, New Series, Vol. 9, No. 4 (Autumn, 1987), pp. 12-22, p 13.

(٣) أرسطو (A30): الميتافيزيقا، الكتاب الأول، مقالة الألفا الكبرى، ف ٥، ٩٨٦ ب ٢٢، ص ٢٧٨.

معاصر أصغر سناً لإكسينوفانيس، وردَتْ في الشذرة **(DK B40)** من شذرات هيراكليتوس[١]، "**πολυμοθη νοον ου διδασκει**"، والتي رواها ديوجينيس لائيرتيوس[٢]:"**كثرةُ المعرفةِ لا تعلّم الحمة (الذهنَ)، وإلا لكانت قد علّمتْ كلاً من هسيودوس وفيثاغورس، وكذا كلاً من إكسينوفانيس وهيكاتيايوس**". على الرغم من أن هذا القول كان بلا شك مقصودًا من هيراكليتوس كسخرية، إلا أنه دفع دون قصد لتكريم إكسينوفانيس بجعله عضوًا في مجموعة الفلاسفة[٣]؛ إذ إن هيراكليتوس لمْ يسلبْ صفةَ الفيلسوف من إكسينوفانيس وقرنه بالفيلسوف فيثاغورس. لكن الذي استمر– إلى عصرنا الحالي– هو تأثير أرسطو، فنجد **آرمسترونج**[٤] يقول عن إكسينوفانيس: "**هو معلمٌ دينيٌ متجولٌ أكثر منه فيلسوفًا**". وذهب **فيرنر ييجر**[٥] إلى أن إكسينوفانيس : "**لمْ يكنْ مفكرًا أصيلاً**". أما **هارولد شيرنيس**[٦] فهو صاحب المقولة، (التي صدر بها **كارل بوبر** مقاله المهم: "**إكسينوفانيس المجهول: محاولة لإثبات عظمته**"[٧])، والتي يواصل فيها **شيرنيس** النفيَ الأرسطيَ القديمَ لإكسينوفانيس؛

---

(1) (Diogenes Laertius, Lives of the Philosophers 9.1). (22B40) In G. S .Kirk & J. E. Raven, The Pre Socratic Philosophers, Cambridge At The University Press, 1957. p.24.

(٢) ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء التاسع، فقرة ١، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل اليوناني، محمد حمدي إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م ص، ٩٩.

(3) Karl Popper, The Unknown Xenophanes An Attempt to Establish his Greatness, In The World of Parmenides, Essays on the Presocratic Enlightenment, Edited by Arm F. Petersen, Routledge, London and New York, 1998, p 34.

(٤) أ.هـ. آرمسترونج: مدخل إلى الفلسفة القديمة، ترجمة سعيد الغانمي، كلمة والمركز الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٩م ص ٣٣.

(5) W. Jeager, Paideia, the Ideals of Greek Culture, Translated from the German By Gilbert Highet, Oxford University Press, 1947. pp. 230-4.

(6) Harold Cherniss, The Characteristics and Effects of Presocratic Philosophy, Journal of the History of Ideas, University of Pennsylvania Press, Vol. 12, No. 3 (Jun., 1951), pp. 319, 335, 345.

(7) Karl Popper, The Unknown Xenophanes .p 33.

حيث يقول **شيرنيس:** "**إكسينوفانيس، الشاعرُ المتجولُ، أصبح شخصيةً من شخصيات تاريخ الفلسفة اليونانية عن طريق الخطأ**"! وهكذا ظهر **تيارٌ عامٌ** هيمن على الأبحاث المعاصرة، إلى حدٍ بلغ- عند بعض الباحثين- ليس فقط نفي **إيلية** فيلسوف كلوفونا، بل أيضًا نفي جدةَ عطائِه المعرفي؛ وخير مثال له **زافيروبولو (Zafirpulo)**[١]، الذي بعد أن استبعد إكسينوفانيس من المدرسة الإيلية، قال: "**إنَّ شذراتِ إكسينوفانيس معطىً فارغٌ من أي مذهبٍ جديد**". ويصل هذا النفي إلى قمته عند فيلسوف الهرمنيوطيقا المعاصر **هانز جورج جادامير**[٢]، الذي يتبنى رأي أرسطو، بل ويزيد عليه فيرفض حتى أن يعتبر إكسينوفانيس لاهوتيًا كذلك، فيقول عنه: "**إننا لا يجب أن نرى في إكسينوفانيس لاهوتيًا، أو فيلسوفًا، بل مجرد راوٍ للملاحم**"! **وهؤلاء مجرد أمثلة تردد- بصيغ متقاربة- النفيَ الأرسطيَ القديم!**

أعتقدُ- مع **كارل بوبر**[٣]- أن قيادة إكسينوفانيس للتنوير، في وقت مبكر، هي التي تفسر هذا النمط المذكور آنفًا: التقليد القديم الذي ينبذه ويحاول صرف النظر عنه. وأرى في ذلك النفي- مع **الطيب بوعزة**[٤]- قيمةً كامنةً قد لا يتنّبه إليها القائلون به، بل والرافضون له أيضًا، وهي أن ثمة **أصالة فكرية يتفرد بها إكسينوفانيس، جعلته مغايرًا للنماذج الفلسفية في السياق ما قبل السقراطي.** وتلك المغايرة هي ما جعلها المؤرخون (منذ **أرسطو** وحتى **جادامير وشيرنيس**)، مستندًا لنفي سَمْت التفلسف عن فيلسوف كولوفونا، بدل أن يُنظر إليه كملمحٍ دالٍ على الفَرَادةِ والامتياز.

---

(١) نقلاً عن الطيب بوعزة: تاريخ الفكر الفلسفي الغربي: قراءة نقدية (٤)، كزينوفان والفلسفة الإيلية، قراءة في أطاريح كزينوفان، برمنيد، زينون، ميليسوس، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ٢٠١٦، ص ٢٤.

(٢) هانز جورج غادايمر: بداية الفلسفة، ترجمة على حاكم صالح و حسن ناظم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٤٨.

(3) Karl Popper, The Unknown Xenophanes. p 34.

(٤) الطيب بوعزة: تاريخ الفكر الفلسفي الغربي: قراءة نقدية (٤)، كزينوفان والفلسفة الإيلية، قراءة في أطاريح كزينوفان، برمنيد، زينون، ميليسوس، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت،٢٠١٦، ص ص ٤٣-٤٤.

يقترح **كارل بوبر**[١] أن إكسينوفانيس هو مؤسس التنوير الأوربي، وأنه كان أحدَ أعظم إنجازات إكسينوفانيس، التي سبق غيره إليها، وتمثلُ بقوة جميعَ الأفكارِ الرئيسة للتنوير الأوروبي. ومن بين هذه الأفكار: الكفاح من أجل الحقيقة ومناهضة الغموض؛ ومنها الحديث والكتابة بوضوح وتواضع؛ ومنها ممارسة السخرية وخاصة السخرية الذاتية؛ ومنها تجنب تكلف وادعاء المفكر العميق؛ ومنها النظر بشكل انتقادي للمجتمع؛ والنظر إلى العالم بتساؤل ودهشة، وبحب استطلاع، وبفضولٍ مُعْدٍ.

وعليَّ هنا أنْ أحاولَ، لا أقول إثبات عظمة إكسينوفانيس كما عنون كارل بوبر مقاله: "إكسيوفانيس المجهول: محاولة لإثبات عظمته"، بل توكيد، أصالة إكسينوفانيس الفلسفية، وذلك من خلال فحص فلسفة إكسينوفانيس الطبيعية: التي بنى عليها وحدانيته؛ الوحدانية الإلهية- على حد تعبير فردريك نيتشه[٢]**. وبيان أسسها الطبيعية والإبيستمولوجية.**

وكما أن **هيوم** "**Hume**" قد "أيقظ" "**كانط Kant**"، من سُباته كذلك كان **إكسينوفانيس** هو الذي دفع **بارمينيديس** إلى الاشتغال بالفلسفة؛ ولعلَّ عقلَ بارمينيديس كان واحدًا من عقول كثيرة أثارها قول إكسينوفانيس إن الآلهة ليست إلا أساطير، وأنه **لا توجد إلا حقيقة واحدة** – كما يقول **ول ديورانت** [٣]- **هي العالم والله جميعًا. وتأويلي أنه- بالنسبة لبارمينيديس- لا توجد إلا حقيقة واحدة هي العالم الإلهي، أما العالم، فكما أثبتتْ فلسفةُ الطبيعةِ الإكسينوفانية، فله بداية وله نهاية، وليس في وَحْدَة جوهرية- صورية أو مادية – مع الإله؛ كما سوف نرى لاحقًا- بعد فحص فلسفة إكسينوفانيس الطبيعية بتأنٍ ودقة، وهذا ما سأحاول القيام به في المحور الآتي:**

---

(1) Karl Popper, The Unknown Xenophanes. p 35.

(٢) فردريك نيتشه: الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، تعريب سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص ٧١.

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة، حياة اليونان، المجلد الرابع، ٧، ترجمة محمد بدران، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٩٦.

ثانياً: الفيزيس φύσις وميثودولوجيا "ملاحظة المستحثات"

حتى تتعمق فكرتنا، بشكل أكثر تحديدًا، نناقش المنسوبَ الدوكسوجرافي[١] إلى إكسينوفانيس والذي يتعلق بنظراته حول الطبيعة. رفض إكسينوفانيس النثر الأدبي كوسيلة للتعبير الفلسفي عن آرائه الطبيعية واللاهوتية واعتمد الشعرَ لأن هذه كانت الطريقة المثالية للنشر في ذلك التاريخ المبكر بشكل مذهل، أعني القرن السادس قبل الميلاد؛ لتوصيل أفكاره بشان التوحيد الفلسفي[٢]؛ وذلك بسبب الطبيعة الأداتية القديمة للشعر، أي الأداة الأكثر قدرة من النثر، على توصيل الأفكار لأكبر عدد من جمهور الناس الذين يستهدف إكسينوفانيس تنويرهم بخصوص مسألة الألوهية، فهو يستخدم الشعر كمعلم ومصلح متحمس ملتزم بتصحيح المعتقدات اليونانية العادية حول الألوهية والطبيعة، ولأنه وجد أن الشعر لا يزال يوفر له مزايا كبيرة عن النثر للوصول إلى جمهور كبير من المستمعين الأميين: الذين لا يكتبون ولا يقرأون، كما يقول **هربرت جرانجر**[٣].

وقد بقيتْ لنا من شذرات إكسينوفانيس **خمسةٌ وأربعون شذرة**، تم جمعها منذ **ديلز– كرانز** في كتابهما "**شذرات الفلاسفة السابقين على سقراط**". وحتى الشذرات التي جمعها **ليشير Lesher**[٤]، **في الفصل الأول** من كتابه، "**شذرات إكسينوفانيس الكلوفوني: النص اليوناني مع ترجمته الإنجليزية**". وهذه الشذرات الخمس والأربعون هي التي عليها مدارُ كلِ الأبحاث التي تتناول فلسفة الكلوفوني الذي ربما كان أول

---

[١] أعني بالمنسوب الدوكسوجرافي هنا أي؛ ما رواه رواةُ الآراء الفلسفية ونسبوه إلى إكسينوفانيس.

[2] Catherine Osborne, Presocratic Philosophy, A Very Short Introduction, Oxford University Press Inc., New York, .2004. p.61.

[3] Herbert Granger, Poetry and Prose: Xenophanes of Colophon, the American Philological Association (1974-2014), Vol. 137, No. 2(Autumn, 2007), pp. 403-433, p 429.

[4] J. H. Lesher, Xenophanes of Colophon: Fragments, a Text and Translation with a Commentary.University of Toronto.2001.

من نادى بالتوحيد في بلاد الإغريق. وهو توحيد من نوع خاص يقوم على فلسفة طبيعية خاصة اختلف حولها الباحثون– كعادة كل ما يخص إكسينوفانيس وفلسفته – قديمًا وحديثًا. فلندل بدلونا ولندخل في هذا الجدل المثير الذي تثيره فينا فلسفةُ هذا الفيلسوف الفريد. وسأعتمدُ **أولاً**– لفحص فلسفة إكسينوفانيس الطبيعية– على الشذرات التي لا يشوبها شكٌ كبيرٌ في نسبتها إلى إكسينوفانيس من قِبَلِ الدوكسوجرافيين (رواة الآراء الفلسفية). كما سأحاولُ– **ثانيًا** – نفيَ الشكَ عن بعضها الآخر، ثم أحاول– **ثالثًا**– أنْ أستخلصَ من هذا الأساس المبادئ التي قد تعيننا على الدخول في النقاشات التي أثارتها فلسفتُه الطبيعية من حيث نتائجها اللاهوتية. وسأفحصُ ذلك على النحو الآتي:

١. الملاحظة والمنهج الاستقرائي

يقول **إكسينوفانيس** في الشذرة **(DK 21 B8)**[(١)]، برواية **ديوجينيس لائيرتيوس**[(٢)]، التي يؤرخ فيها لمجمل سيرته، وكيف أنه عاشَ عشراتٍ من السنين يبحث فيها عن الحقيقة ويطلبها حثيثًا: "ها قد مَضتِ الآن فترةُ **سبعةٍ وستين** عامًا، تقلبتْ فيها اهتماماتي وأنا أعيشُ في بلاد اليونان، كذلك انصرمتْ، قبلها وبالإضافة إليها، **خمسٌ وعشرون** حولاً منذ مولدي، إلى أنْ قُدّر لي أنْ أعرفَ كيف أتحدثُ حقًا

---

(١) كل الشذرات الواردة هنا بترقيم ديلز–كرانز المعتمد في كل الدراسات عن الفلاسفة السابقين على سقراط، والمعنون بـ :

" **Die Fragmente der Vorsokratike**r, Weidmannsche Verlagsbuchhandlung, Berlin-Neukölln, 1960."

و **(DK)**. اختصار للمؤلفين ديلز وكرانز **(H. Diels- W. Kranz)**، **والرقم (21) هم رقم الفيلسوف إكسينوفانيس في الكتاب و (B8) هو رقم الشذرة حسب ترقيم ديلز–كرانز. وشذرات إكسينوفانيس في كتاب ديلز– كرانز من ص 126 إلى ص 138**

(2) (B8) (Diogenes Laertius, Lives of the Philosophers 9.19), ήδη δ' επτά τ' εασι καὶ έξήκοντ' ένιαυτοὶ βλητρίζοντες έμήν φροντίδ' αν' Ελλάδα γήν εκ γενετής δε τότ' ήσαν έείκοσι πέντε τε προς τοις, εἴπερ έγώ περί τώνδ' οίδα λέγειν ετύμως. In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon fragments.

وصدقًا عن هذه الأمور"[١]. إن السفر والملاحظة والتساؤل المستمر هي العوامل التي يمكن أن تقود إكسينوفانيس إلى اكتشاف القوى الأكبر العاملة في الطبيعة[٢]. كما يظهر بوضوح تأثر إكسينوفانيس بجيرانه الميليتيين (المَلَطِيّين)، ووفقًا لبعض الروايات، كما في الشذرة **(B19)**، عند ديوجينس لائيرتيوس[٣]، وكذلك الشذرة **(B30)**[٤] **أن إكسينوفانيس كان معجبًا بطاليس وبعلومه الفلكية.** ولكن ذلك التأثر نراه مقتصرًا على مشاركتهم مجال بحث الطبيعة، ولكنه لم يكن على طريقة الميليتيين، وإنما كان على طريقة إكسينوفانيس: **طريقة الملاحظة للمستحثات!** لقد طور إكسينوفانيس **رؤى إبستمولوجية مهمةً وطبّق أساليبه بطريقة تجريبية ومنهجية،** تقاربُ بعضَ طرقِ العلوم الحديثة، كما يرى **مايكيل بابازيان**[٥]. وكان **لعلم اللاهوت** عند إكسينوفانيس **تأثيرُه المهم على فهم إكسينوفانيس لطبيعة الكون،** كما يقول **ليشير**[٦]. **وبهذه الطريقة يمكن أن تُحل كثيرٌ من الإشكاليات والتشكيكات حول شذرات إكسينوفانيس المتعلقة بالفيزيس والكوسموس.**

وتكشف أمثلةٌ عديدة طريقةَ إكسينوفانيس من لاهوتيته وعلم الكون أنه يقبل شكلاً من أشكال **التفكير الاستقرائي** للتوصل إلى معتقدات معينة[٧]. ومن هذه الأمثلة

---

(١) إكسينوفانيس شذرة (B8)، ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء التاسع، الفصل الثاني، فقرة ١٩، ص ١١٦.

(2) J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon fragments.p.146.

(٣) ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الأول، الجزء الأول، الفصل الأول، فقرة ٢٣، ص ٤٦.

(4) (Geneva Scholium on *lliad* 21.196) Fr, 30, In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon: fragments.

(5) Michael Papazian, Gods and fossils: Inference and scientific method in Xenophanes's philosophy ,in Philosopher Kings and Tragic Heroes, Essays on Images and Ideas from Western Greece Edited by : Heather L. Reid, Davide Tanasi, Parnassos Press – Fonte Aretusa, 2016.p. 61.

(6) J.H. Lesher, A Systematic Xenophanes?' In Studies in Philosophy and the History of Philosophy (CUA Press, 2009) .p 10.

(7) Michael Papazian, Gods and fossils. p. 73.

المفاهيم **الأثيوبية والتراقية** للآلهة(**B16**)– الممارسات **الدينية المصرية (A13)**– اختراع صك العملة من قبل **الليديين (Λυδοί)(B4)**– الجبال والبراكين في **صقلية (B 21a & A 48)**–الكسوفات التي حدثت في **مناطق مختلفة من العالم(A41a)**. كلُ هذه الملاحظات لإكسينوفانيس تتفق مع ما أسماه **ليشير**[١] **"الروح التجريبية"** لإكسينوفانيس. ويقول مؤرخُ العلم **جورج سارتون**[٢]: إكسينوفانيس هو "**أول جيولوجي وأول عالم بالمستحثات (الحفريات)**"؛ فحسب رواية **هيبوليتوس(A33)**[٣]، التي يقول فيها إكسينوفانيس: "إنه كان يوجد امتزاجٌ بين **الأرض والبحر**، وأن ذلك الامتزاج أخذ في التحلل عن الرطوبة على مر الزمن. وأدلته على ذلك هي كما يأتي: تُكتشف الأصداف وسط الأرض وفي الجبال. وهو يضيف إلي ذلك أنه وُجدت في محاجر **سراقوسة** (صقلية) آثارُ سمكةٍ وعجول البحر، وفي **باروس** وُجِدَ أثرُ سردينة في قاع حجر، وفي **مالطة** أجزاء من جميع أنواع **الحيوانات البحرية (θαλασσίων)**. ثم يقول إن هذه الأشياء تولدت حين كانت جميع الأشياء في الأصل مطمورة في الطين، وإن آثار بعضها جفتْ في الطين، وإن جميع البشر هلكوا حين اندفعتِ الأرضُ نحو البحر وتحولتْ إلي طين، **ثم ولدت الكون مرة أخرى، وحدث هذا التغير لجميع العوالم**".

ولنحاول أن نتلمس جوانب تفعيل هذا المنهج الإكسينوفاني الجديد/ منهج ملاحظة واستقراء المستحثات، على بعض المظاهر الطبيعية ابتداءً أي؛ **على**

---

(1) J.H. Lesher, A Systematic Xenophanes? .p 10.

(٢) جورج سارتون: تاريخ العلم، الجزء الأول، ترجمة، لفيف من العلماء بإشراف إبراهيم بيومي مدكور، دار المعارف، القاهرة،١٩٩١م، ص ٣٧٧.

(3) (A33) (Hippolytus, *Refutation of All Heresies* 1.14.3–6) .In Patrica Curd & Richard D .Mckirahan, A Pre-Socratics Reader, Selected Fragments and Testimonia, Hackett Publishing Company, Inc. Indianapolis, Cambridge, Second Edition, 2011. p.p.37-38.

الظواهر والمناطق المرتبطة- منذ هوميروس وهسيودوس- بالكائنات الأسطورية والخرافية الخارقة للطبيعة: مثل، الأرض والماء والبحار والكهوف:

- **التراب والماء: هل هما عنصران أوليان (ἀρχαι)؟**

قال أوليمبيودوروس*، في الشذرة (A36)[1]: "**.... لأنه لم يكن أحد يعتبر الترابَ المبدأَ الأولَ باستثناء إكسينوفانيس الكلوفوني**". يقرر إكسينوفانيس، برواية **ثيودوريتوس*** في الشذرة **(B27)**[2] بناء على مشاهداته لبقايا مستحثات محاجر صقلية، أن:**.ἐκ γαίης γὰρ πάντα καὶ εἰς γῆ πάντα τελευτᾶ.** أي؛ "**كلُ شيءٍ يأتي من الأرضِ وإليها يعود**"[3]

ويقول **أرسطو**[4]: "**إن واحدًا من الفلاسفة المتأخرين لم يقلْ مدعيًا إنَّ الأرضَ هي العنصر. ومن الواضح أنَّ ذلك بسبب خشونة بذرة الأرض أو غلظتها**". وقول أرسطو يدل على أن إكسينوفانيس **لمْ يقلْ باعتبار الأرض عنصرًا (Στοιχείον)، وإنما هي مجرد ملاحظة من ملاحظاته الثاقبة، واستقراء جزئي افترض تعميمه.** وعلى هذا الأساس نقبل هذه الشذرة ولا نشكك فيها؛ لأن الذين لم يقبلوها إنما رفضوها باعتبار أن إكسينوفانيس يتكلم هنا عن **عنصر، ستويخيون (Στοιχείον)، أو مبدأ/أرخي (ἄρχή)**؛ لا مجرد مشاهدة لأحافير حفظتها الأرضُ فاستخلص منها نتيجةً

---

* أوليمبيودوروس (Olympiodorus)- الكيميائي والفيلسوف في القرن السادس، مؤلف كتاب عن الفن المقدس، On the Sacred Art .

(1) (A36).(Olympiodorus On the Sacred Art 24 [M. Berthelot Collection des anciens alchimistes grecs 1.1], 82, 21.In, Lesher, Xenophanes of Colophon: Fragments .p. 195

* ثيودوريتوس (Theodoretus)- أسقف كيروسCyrrhus ، في القرنين الرابع والخامس، مؤلف للدراسات اللاهوتية والدوكسوجرافية doxographies.

(2)) (Theodoretus, Treatment of Greek Conditions 4.5) Fr, 27, In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon fragments.

(3) Xenophanes, Fr, 27. In J. Burnet, Early Greek Philosophy, , 4th ed, Adam & Charles-Black, London, 1975. .p.120.

(4) أرسطو: الميتافيزيقا، الكتاب الأول، مقالة الألفا الكبرى، ف ٨، ٩٨٩ أ،٤-٥، ص ٢٨٢.

ثم ذهب إلى تعميمها استقرائيًا. **لذلك فهو غير معني بتحديد "سبب أول" مادي، كما هو الحال عند الفلاسفة الطبيعيين الملتيين**، كما يقول **قسطنطين فامفاكاس**[١].

ويقول إكسينوفانيس، في الشذرة **(B29)**[٢]، برواية **فيلوبونوس: γῆ καὶ ὕδωρ πάντ' ἐσθ' ὅσα γίνοντ' ἠδὲ φύονται.** أي؛ و"**تخرج الأشياءُ كلُها إلى الوجود وتنمو من التراب والماء**[٣]. تشير هذه الملاحظةُ الأخيرة إلى أن إكسينوفانيس يعتقد أن الكون له بداية في الزمن، كما يقول **جيرارد ناداف**[٤]. ولا توجد شذرة أو تقرير دوكسوجرافي يوضح ذلك صراحة، ولكن يقترحه عددٌ من الشذرات والتقارير بالتأكيد. يذكر إكسينوفانيس **كل الأشياء (πάντα)** التي **ستصبح (γινονται) وتنمو (φυονται)** هي التراب والماء. ولا يقتصر هذا على الكائنات الحية، ولكنه يشمل ظواهر الأرصاد الجوية **(B30)**، والأجسام السماوية نفسها**(A32,33.)**.

وفي الشذرة **(B33)**، برواية **سكستوس إمبريكوس**[٥]، يقول إكسينوفانيس:**.πάντες γὰρ γαίης τε καὶ ὕδατος ἐκγενόμεσθα** أي؛ "**لأننا كلنا أتينا (أو خرجنا) من التراب والماء**"[٦]**.(γινονται / ἐκγενόμεσθα):** كلاهما يمكن أن يعني "**مولود**"– خاصة عند التحدث عن الأشخاص– ولكن كلاهما يمكن أن يعني أيضًا "**القدوم إلى الوجود**"[٧]. وقد طعن **جالينوس** في تعليقه على أطروحة

(1) Constantine J. Vamvacas, , The Founders of Western Though The Presocratics, A Diachronic Parallelism Between Presocratic Thought and Philosophy and the Natural Sciences, Translated from the original Greek version into English by Professor Robert Crist of the University of Athens, Greece Springer, 2009. P 86.

(2) Philoponus, Commentary on *Aristotle's Physics* 1.5.125) Fr, 29, In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon fragments.

(3) Xenophanes, Fr, 29. In J. Burnet: Early Greek Philosophy. p.120.

(4) Gerard Naddaf , The Greek Concept of Nature, State University of New York, 2005. p.117.

(5) Sextus Empiricus, *Against the Professors* 10.314 (= *Against the Physicists* 2.314)) Fr, 33, In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon fragments.

(6) Xenophanes, Fr, 33. In J. Burnet: Early Greek Philosophy. p.120.

(7) J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon fragments.p.126.

هيبوكراتيس (= أبقراط) حول طبيعة الإنسان، في إسناد نظرية إكسينوفانيس عن **التراب كأرخي "ἀρχή /أصل أول"**؛ حيث قال **جالينوس** في الشذرة**(A36)**[1]: "يعالج بعضُ المفسرين أيضًا إكسينوفانيس بشكل سيء، ويبلغون زورًا بشأنه تمامًا، كما كتب **سابينوس** في الكلمات الآتية: 'لأنني أقول إن الإنسان ليس هواءً بالكامل كما يقول أناكسيمينيس، ولا ماءً كما يقول طاليس، **ولا أرضًا مثلما يقول إكسينوفانيس في مكان ما**"؛ **لأنك لن تجد إكسينوفانيس في أي مكان يصدر مثل هذا القول** ... وكان **ثيوفراستوس سيسجل هذا كعقيدة لإكسينوفانيس في ملخصاته للآراء الفيزيائية، إذا كان قد قال بهذا الرأي**".

كذلك فإن الشك في نسبة **ثنائية الأصل (الماء والتراب)** إلى إكسينوفانيس يجد مستندًا له في قول **أرسطو**[2]، في كتاب الميتافيزيقا: "**إن بارمينيديس لم يفترض علةً واحدةً بل افترض– بمعنى ما– علتين**". وأن أرسطو لم يذكر اكسينوفانيس من القائلين بوجود علتين حيث ذكر بارمينيديس وحده؛ فنرده كذلك بالقول: **إن إكسينوفانيس لم يتكلم لا عن عنصر ولا عن اثنين؛ بل ذكر ما ذكر نتيجة ملاحظاته الجيولوجية؛ فمرة لاحظ تحجر الكائنات الحية فأرجع ذلك إلى التراب، ومرة لاحظ أنه لابد قبل حصول التحجر كانت هذه الكائنات مبتلة بالماء فذكر الماء مع التراب. بل نذهب إلى القول بأن مشكلة العناصر (στοιχεία) لم يبحثها إكسينوفانيس قط!**

كما نسب **ديوجينيس لائيرتيوس**[3] إلى إكسينوفانيس قوله بنظرية **العناصر الأربعة: "يذهب إكسينوفانيس إلى أن الكائنات مكونة من أربعة عناصر (στοιχεία)". بل كل ما هنالك مجرد ملاحظات جيولوجية**؛ وعلى ذلك نعدُ قولَ

---

(1) (A36) Galen *Commentary on the Hippocratic Treatise on the Nature of Man* 15.25k. In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon fragments. p.126.

(٢) أرسطو: الميتافيزيقا، الكتاب الأول، مقالة الألفا الكبرى، ف ٣، ٩٨٤ ب،٢٥، ص ٢٧٢.

(٣) ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء التاسع، الفصل الثاني، فقرة ١٩، ص ١١٧.

ديوجينيس لائيرتيوس مجرد تأويل أدخل إكسينوفانيس إلى زُمرة القائلين بنظرية العناصر الأربعة، (وهي نظرية ننفيها حتى عن إمبادوكليس نفسه التي تُنسب إليه نظريةُ العناصر الأربعة![1]).

هنا يبدو الفارق الذي ينبغي التشديد عليه بين إكسينوفانيس والميليتيين جليًا، **وهو: إن إكسينوفانيس لم يقل بالماء والتراب باعتبارهما مبدأ أولاً؛ أرخي (ἀρχή)، بل قال بهما من ملاحظاته لأحافير البحر (απολιθωμα) التي وجدها في المحاجر؛ ثم راح يعمم ملاحظته ويستنبط منها: أن العالم بدأ من الماء والتراب وإليهما يعود؛ ولكن دون أن يرفع هذين العنصرين إلى مستوى الأرخي.**

وعلى ذلك يمكن أن تزول كلُ التشكيكات التي أثارها ليشير وغيره حول هذه الشذرات. وعلى هذا الأساس نقبلها ولا نردها. فكما قلتُ: **إنما كان إكسينوفانيس يعبر عن مجرد ملاحظات أحفورية جيولوجية، ولم يخطر بباله الكلام لا عن أصل أول، ولا أصلين، التراب (γῆ)، والماء (ὕδωρ)، كما يعتقد جيانّيس ستاماتيلوس[2]، ومعظم الباحثين. ولا أربعة أصول كما يقول ديوجينيس لائرتيوس.**

وربما- كما أظنُ- لهذا السبب أخرجه أرسطو من زمرة تأريخه للفلاسفة السابقين عليه الذين كان يؤرخ لهم؛ باعتبار أن آراءَهم كانت مجرد تمهيد لبحث نظريته في العلل الأربع؛ وإن تمام اكتمالها إنما كان على يديه وحده!

- **البحر**

---

(1) راجع، شرف الدين عبد الحميد: كسمولوجيا العناصر عند إمبادوكليس، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، المؤتمر الدولي الخامس، الكلمة والصورة في الحضارات القديمة ، الجزء الثاني، القاهرة، ٢٠١٤م ، ص ص ١٤٧-١٨١.

(2) Giannis Stamatellos , Introduction To Presocratics, A John Wiley & Sons, Ltd. Publication, UK, 2012, p 21.

يقول **هيبوليتوس**، في الشذرة، **(A33)**[١] إن إكسينوفانيس قد أعلن:" **أن البحر مالح لأن العديد من المخاليط تتدفق فيه**". ويقول إكسينوفانيس في الشذرة **(B30)**[٢]: "**البحر هو مصدر الماء والرياح**، لأنه بدون البحر الكبير لن تكون هناك رياح ولا تيارات الأنهار ولا مياه الأمطار من الأعلى؛ لكن **البحر الكبير هو منبع السحب والرياح والأنهار**". ويشرح **أيتيوس**[٣]: "تحدث الأشياءُ في السماء من خلال حرارة الشمس كسبب أولي؛ لأنه عندما يتم سحب الرطوبة من البحر، ينفصل الجزء الحلو، بسبب نقاوته ويتحول إلى ضباب، ويتجمع في السحب، ويتدفق في قطرات المطر بسبب الضغط، وتبخر الرياح. لأنه يكتب صراحة:"[البحر] هو مصدر الماء" **[شذرة B30.1]**.

ولو فكر اليونانيون في طريقة إكسينوفانيس لربط البحر بالسحب والأنهار والأمطار والرياح، وفي تداعيات روايته على الآلهة، التي ربطوها منذ القدم بالبحار والسماوات، فربما كانوا قد انزعجوا من فكرته الثورية تلك[٤].

- **الكهوف**

يقول إكسينوفانيس، في الشذرة**(B37)**[٥]:"... **وفي الواقع في بعض الكهوف تتساقط المياه** ..." حتى لو لم نكن متأكدين– كما يقول **جيمس ليشير**[٦]– من النقطة الدقيقة لكلمات إكسينوفانيس هنا في الشذرة **(B37)**، فقد لا نزال نرى فيها (كما في الشذرات **B30–B32**) **اهتمامه الواضح بالظواهر والمناطق المرتبطة منذ القدم**

(1) (A33) (Hippolytus, *Refutation of All Heresies* 1.14.3–6) .In Patrica Curd & Richard D .Mckirahan, A Pre-Socratics Reader, Selected Fragments and Testimonia.p.37.

(2) (Scholium on *Iliad* 21.196)Fr, 30, In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon fragments.

(3) (A46) Aëtius 3.4.4 (Diels, 371) In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon fragments.

(4) J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon fragments.p.129.

(5) (Herodian 30), fr 37, In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon :fragments.

(6) J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon :fragments.p.137.

بالكائنات الخارقة للطبيعة؛ هنا في تلك الكهوف الغامضة تحت الأرض، **والمداخل الأسطورية للعالم السفلي تحت الأرض، وموطن الكائنات السحرية** (على سبيل المثال: **كاليبسو** "**καλυψώ**" في الأوديسية[١] والقوى المخيفة في الأوديسية[٢] والوحوش في **أنساب الآلهة** "**Θεογονια**" **لهسيودوس)**[٣].

إذا ما حاولنا تحليل **هذه النصوص المتعلقة بالفيزيس، والتي تبدو أنها طبيعية؛ أعني متعلقة بعلم الطبيعة، غير إنها- مع ذلك- تتضمن أساسًا لوجهة نظر لاهوتية تمامًا،** وهو **تأثر إكسينوفانيس بالجوانب اللاهوتية الأخرى عند المليتيين،** نجد أن إكسينوفانيس قد رد جميع الموجودات إلي التراب والماء. وأورد على ذلك شاهدًا بعضَ الأحافير التي عثر عليها في **مالطة وصقلية،** وبعض الأصداف التي وجدها في الجبال. إن وجود أحافير الكائنات، التي عادة ما تسكن المياه في الأحجار الجافة وفي المناطق الداخلية البعيدة يتطلب تفسيرًا. والتفسير المعقول هنا هو أن هذه الأجزاء من الأرض كانت مغمورة بالمياه ذات يوم[٤]. إلا أن مياه البحار سوف تطغى آخر الأمر على اليابسة، وعندها يفنى الجنسُ البشري وسواه من المخلوقات الحية. ولكنَّ الحياةَ لا تلبث أن تتجدد ويُولد عالمٌ آخرُ من جديد، لا يلبث أن يفنى بدوره، وهكذا دواليك.

إن هذا التصور الطبيعي للكون- وأقترحُ صحة نسبته إلى إكسينوفانيس- يهدم التصور التقليدي للأساطير الهومرية والهسيودية التي تصورتِ الكونَ على هيئة آلهة بدأت من السديم الأول (الخاؤس)، ومن الأوكيانوس، ثم استولت على حكم الكون (الكوسموس) تحت إمرة زيوس ورئاسته. وهذا يدعونا إلى فحص

---

(1) Odyssey 1.15.
(2) Odyssey 12.84-85؛ 93.
(3) Hesiod, Theogony,295- 297, In Heisod, Theogony, Works and Days, Testimonia, Edited and translation by Glenn W. Most. Harvard university press, London, 2006. p.27.
(4) Michael Papazian, Gods and fossils.p. 70.

الكوسموس عند إكسينوفانيس سواء في كليته، أم في مكوناته: من شمس وقمر ونجوم إلخ:

٢. الكوسموس الإكسينوفاني

- **الأجرام السماوية**

من المعروف جيدًا أن إكسينوفانيس علَّم أن الأجسام السماوية والشمس والقمر والنجوم على حد سواء، تتكون من السحب نفسها نتاج الزفير الرطب من المياه على سطح الأرض. بطريقة ما صارت مشتعلة ويمكن أن تخمد في نهاية المسار النهاري للجسم السماوي[١]. ويبدو أن لدى **كيرك ورافن**[٢] شكوكًا حول ما إذا كان بإمكان نسبة ذلك إلى إكسينوفانيس حقًا. لكن الشكوك الأقوى هي التي اقترحها ف. **كليف F. Cleve**[٣] من أن الشذرات الدوكسوجرافية للفيزياء الفلكية عند إكسينوفانيس ليست سوى استنتاجات غير دقيقة من أشعار إكسينوفانيس حول قوس قزح **(B32)**[٤] التي فسرها بأنها نوع معين من السحب.

لقد ذهب "كليف" بالتأكيد بعيدًا جدًا. إذا كانت مقاطع الدوكسوجرافيين (doxographers) حول آراء إكسينوفانيس عن الأجسام السماوية هي اختراع محض، فإن الاختراع إما أن يتم من قبل ثيوفراستوس Theophrastus، أو من قبل مؤلفين ثانويين. ومن غير المتصور بالتأكيد أن ثيوفراستوس سوف يقوم باستنتاجات كبيرة من الشذرة (B32)، بل وأكثر من ذلك فمن المدهش أن أيتيوس، ومؤلف المنحول إلى بلوتارخوس"Pseudo Plutarchean"، و ديوجينيس لائرتيوس،

---

(1) See: Diog. Laert. 9.19; Pseudo-Plutarch, Strom. 4 (D.K.21.A.32); Aetius 2.13.14 (A.38), 2.20.3 (A.40) with which compare Hippolytus Ref. 1.14.3 (A.33), 2.24.4 2.25.4 (A.43), 2.29.5.

(2) . G. S. Kirk and J. E. Raven, The Presocratic Philosophers, Cambridge At The University Press, 1957.p.174.

(3) F. M. Cleve, The Giants of Presophistic Philosophy, An Attempt to Reconstruct their Thoughts, The Hague, Third Editions, Part One, 1973, pp. 18.

(4) D.K.21.B.32.

(أو مصادرهم المختلفة التي نقلوا عنها) يجب أن تكون جميعها بنفس الخيال الذي استمد من نفس الشذرة ما اختلقوه على إكسينوفانيس من آراء!

يجب إذاً قبول أدلة أيتيوس والدوكسوجرافيين الآخرين ويجب أن نحاول أن نقرر لماذا يحمل إكسينوفانيس مثل هذه الآراء الغريبة عن الأجرام السماوية. وكما لاحظتْ **كاثلين فريمان**[١]، فقد استند عددٌ من آراء إكسينوفانيس إلى بعض الملاحظات الأصلية والدقيقة، مثل: – دراسة ترشح المياه وتأثيرها على الأرض؛ وملاحظة المستحثات "**fossils**"[٢] وقد لاحظ أيضًا الوميضَ الفوسفوري "**phosphorescence**"[٣]، ودراسة النيران البركانية. من الواضح أن إكسينوفانيس كان **مراقبًا فطِنًا وملاحظًا دقيقًا**، وربما كانت نظرياته الفيزيائية الفلكية "**astrophysical theories**" لها أيضًا أساس تجريبي، كما يقول **بيكنيل**[٤].

- **الشمس**

فيما يتعلق **بالشمس** نجد إكسينوفانيس في الشذرة **(B31)**[٥] برواية هيراكليتوس، يقول:**.ἡέλιός θ' ὑπεριέμενος γαῖάν τ' ἐπιθάλπων.** أي؛ "**... الشمس تمر فوق الأرض وتنشر الدفء على سطحها ...** [٦] ".

يبدو أن إكسينوفانيس يقول إن الشمس **لا تتصرف كإله** يتكرم بإضفاء الحرارة والضوء علينا، بل أن الشمس تمر ببساطة عبر السماء وتسخن سطح الأرض. وهي فكرة ثورية لو أخذنا في الاعتبار العقيدة السائدة آنئذٍ[٧].

---

(1) K. Freeman, The Pre-Socratic philosophers, 2nd ed. Basil Black Well Oxford, London, 1959. p. 102.
(2) Hippolyt. Ref. 1.14.5 (A.33.
(3) Aetius 2.18.1 (A.39).
(4) P. J. Bicknell, A Note on Xenophanes' Astrophysics , Acta Classica, Classical Association of South Africa , Vol. 10 (1967), pp. 135-136. p.135.
(5) Xenophanes, (Heraclitus Homeric Allegories 44.5) Fr, 31, In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon :fragments.
(6) Xenophanes, Fr, 31. In J. Burnet: Early Greek Philosophy. p.120.
(7) J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon :fragments.p.132.

وعند **هيبوليتوس (A33)**[١]، عن إكسينوفانيس: "**يقول إن الشمس تأتي كل يوم من تجمع العديد من الشرارات الصغيرة**". وعند **ستوبايوس** في الشذرة **(A40)**[٢]: "**الشمس <تتكون> من السحب المتوهجة**". وعن كسوف الشمس عند **أيتيوس (A41a)**[٣]: (قال إكسينوفانيس) كان هناك العديد من الشموس والأقمار في جميع أنحاء المناطق والأقسام ومناطق الأرض، وفي وقت معين يسقط القرص في جزء من الأرض لم نسكنه، وهكذا، مثل شخص يخطو على الفراغ يجعل الكسوف يظهر. (كما يقول أيضًا) أن الشمس تمضي إلى ما لا نهاية، لكنها تبدو وكأنها تدور في دائرة بسبب المسافة".

- **النجوم**

وحسب الشذرة **(A38)** عند **أيتيوس**[٤]: " **تتكون النجوم من السحب المشتعلة، التي تخمد كل يوم، لكنها تصبح مشتعلةً مرة أخرى في الليل، تمامًا مثل الجمر**". أي أن النجوم تنطفئ كل نهار؛ ثم تشتعل في الليل! وحسب شذرة أيتيوس **(A44)**[٥] فإن كل النجوم أصلها سحب تكثفت: "**جميع الأشياء من هذا النوع [المذنبات، والنيازك، الشهب.. إلخ] هي تجميع للسحب المتوهجة**". وفي الشذرة **(A39)** عند **أيتيوس**[٦]:

---

(1) (A33) (Hippolytus, *Refutation of All Heresies* 1.14.3–6) .In Patrica Curd & Richard D .Mckirahan, A Pre-Socratics Reader, Selected Fragments and Testimonia. p.p.37-38.

(2) (A40) (Stobaeus, Opinions.In Patrica Curd & Richard D .Mckirahan, A Pre-Socratics Reader, Selected Fragments and Testimonia,p.37.

(3) (A41a) Aëtius 2.24.9 (Diels, 355). In Lesher, Xenophanes of Colophon :fragments. p.196.

(4) (A38) (Aëtius 2.13.13). In Patrica Curd & Richard D .Mckirahan, A Pre-Socratics Reader, Selected Fragments and Testimonia,p.37.

(5) (A44) (Aëtius 3.2.11). In Patrica Curd & Richard D .Mckirahan, A Pre-Socratics Reader, Selected Fragments and Testimonia,p.37.

(6) (A39) (Aëtius 2.18.1). In Patrica Curd & Richard D .Mckirahan, A Pre-Socratics Reader, Selected Fragments and Testimonia,p.38.

"فيما يتعلق بالنجوم التي تُسمى <**ديوسكيري**[١] **Dioscuri**> يقول إكسينوفانيس: إن الأشياء مثل النجوم التي تظهر على القوارب هي سحب صغيرة تومض نتيجة لنوعٍ معينٍ من الحركة". **فالديوسكيري ليست آلهةً** راعيةً للسفن والبحارة وإنما هي مجرد سحب ذات وميض.

- **القمر**

كما نجد في الشذرة **(A43)** عند أيتيوس[٢] بأنه كان يعتقد بأن: "**القمر سحابة مضغوطة**". و"**القمر له إضاءة ذاتية**"[٣]. عند أناكسيماندروس وإكسينوفانيس وبيرسوس "Berosus". "**والقمر يختفي شهريًا لأنه ينطفئ**"[٤]. **وعن البرق يقول: "ومضات البرق تأتي من خلال بريق السحاب بسبب الحركة"**[٥]. وعند **هيبوليتوس**[٦] نجد أن إكسينوفانيس كان يعتقد بأن: "**هناك عدد غير محدود من الشموس والأقمار، ولكن كل شيء من الأرض**".

- **الأرض**

---

(١) راجع: **نشيد هوميروس** للديوسكوري: "هؤلاء هم الذين ينقذون الرجال على الأرض والسفن السريعة عندما تغرقها العواصف العاصفة فوق البحر الذي لا يرحم"؛ عُرفت فيما بعد بنيران القديس إلمو".

(2) (A43), Aëtius 2.25.4 (Diels, 356). In Lesher, Xenophanes of Colophon: fragments، p. 196.

(3) (A43), Aëtius 2.28.1 (Diels, 358). In Lesher, Xenophanes of Colophon: fragments، p. 196.

(4) (A43), Aëtius 2.29.5 (Diels, 360). In Lesher, Xenophanes of Colophon: fragments، p. 197.

(5) (A45) Aëtius 3.3.6 (Diels, 368). In Lesher, Xenophanes of Colophon :fragments ،p. 197.

(6) (A33) Hippolytus, Refutation of all Heresies,1.14 (Diels, 565; Wendland, 17). In Lesher, Xenophanes of Colophon :fragments. p.193.

كذلك، يعطينا إكسينوفانيس تصورًا للأرض يتنافى تمامًا مع التصور الأسطوري الذي جاء به كل من هوميروس وهسيودوس. يقول **هوميروس**[١]: "الهوة التي تبعد عن هاديس بمقدار بعد السماء عن الأرض". ويقول **هسيودوس**[٢]: "حيث يتحدث عن "أرض واسعة النطاق... أسفل الأرض كما السماء فوقها من حيث الاتساع". ويقول **كيرك ورافن**[٣]: وهكذا في الصورة الهسيودية "**Hesiodic**"، امتدت الأرض مسافة محددة لأسفل، ولكن في الواقع كان يُعتقد أن هذه المسافة شاسعة إلى أجل غير مسمى- في الواقع ارتفاع السماء- ولكن **الأرض عند هسيودوس ماهي إلا مسرح لصراع الآلهة تحتها وفوقها في السماء!** لقد تحدث هسيودوس عن أرض واسعة النطاق ولكن ليست لانهائية الاتساع كما أضاف إكسيوفانيس في تصوره المناقض لتصور هسيودوس. وعند **هيبوليتوس (A33)**[٤]، يقول إكسينوفانيس: "... إن الأرض غير محدودة، ولا يحيط بها الهواء ولا السماوات. وهناك أعداد لا نهائية من الشموس والأقمار، وكل شيء يأتي من الأرض...".

ويهدف إكسينوفانيس من هذا التصور الجديد إلي **هدم اللاهوت القائم على هذا التصور** فيقول في الشذرة **(B28)**[٥]: **γαίης μὲν τόδε πεῖρας ἄνω παρὰ ποσϛὶν ὁρᾶται ἠέρι προσπλάζον, τὸ κάτω δ' ἐς ἄπειρον ἱκνεῖται.** أي؛ "**هذا هو حد الأرض: الذي نراه تحت أقدامنا، ممتدًا في الهواء إلي أعلى، إلي ما لا نهاية، أما حدها الأسفل فلا يمكننا الوصول إليه فهو ممتد بلا نهاية**"[٦]. وقد أشار

---

(١) هوميروس: الإلياذة، كتاب ٨، أبيات،١٦ ، تحرير ومراجعة أحمد عتمان، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٤م، ص ٣١١.

(2) Hesiod, Theogony, 720.p. 61.

(3) . G. S. Kirk and J. E. Raven, The Presocratic Philosophers ,p. 175.

(4) (A33) Hippolytus, *Refutation of All Heresies* 1.14.3–6. In Patrica Curd & Richard D .Mckirahan, A Pre-Socratics Reader, Selected Fragments and Testimonia..p.37.

(5) Achilles Tatius Introduction to the Phaenomena of Aratus 4.34.11, Fr, 28, In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon :fragments.

(6) Xenophanes, Fr, 28. In J. Burnet, Early Greek Philosophy .p.120.

أرسطو[١] في كتاب "**السماء**" إلى أن إمبادوكليس نقد إكسينوفانيس بسبب قوله بأن الأرض تمتد متجذرة إلى ما لا نهاية. وفي تعليق **سمبليكيوس**[٢] على أرسطو يقول: " لمْ أجدْ كلمات إكسينوفانيس بشأن هذا الموضوع، ولا أعرف ما إذا كان يقول إن الجزء من الأرض الذي يقع تحته لا نهائي– قائلاً لهذا السبب أن الأرض تبقى (في حالة السكون) – أو ما إذا كان الفضاء والأثير الذي يقع تحت الأرض لانهائيًا، وبسبب هذا تمتد الأرض إلى ما لا نهاية وتظهر في حالة سكون. لأن أرسطو لم يوضح ذلك، ولا كلمات إمبادوكليس تجعل هذا التمييز واضحًا، حيث إن "أعماق الأرض" قد تعني أيضًا "ذلك الذي تصل إليه إلى الأسفل". ويقول **أيتيوس**[٣]:"أولئك الذين يتبعون طاليس (يقولون إن) الأرض (هي) في المركز؛ (وفقًا) لإكسينوفانيس، (إنها) أولاً – تمتد جذورها في اللانهائي". ويتساءل **شيشرون**[٤]:"ولكن هل يمكننا بنفس الطريقة أن نحلل ونفتح ونفصل طبيعة الأشياء لنرى ما إذا كانت الأرض ثابتة في أعماقها، كما لو كانت مثبتة من جذورها، حسب وجهة نظر إكسينوفانيس، أو ما إذا كانت معلقة في المركز؟ حاول **كارل بوبر**[٥] أن يفسر نظرية إكسينوفانيس، حول الأرض، وذلك بربطها بنظرية أناكسيماندروس، قائلاً: "إذا كنت على حق، فإن الشذرة **(B28)** تدعم بشكل مستقل التقارير التي تؤكد أن إكسينوفانيس كان تلميذًا لأناكسيماندروس".

---

(1) (A47) Aristotle On the Heavens 2.13, 294a21. In Lesher, Xenophanes of Colophon :fragments .p.197.

(2) (A47) Simplicius Commentary on Aristotle's On the Heavens (Heiberg, p. 522, 7). In Lesher.p.197.

(3) (A47) Aëtius 2.11.1.2 (Diels, 377). In Lesher, Xenophanes of Colophon: fragments، p. 197.

(4) (A47) Cicero Prior Academics 2.39.122. In Lesher, Xenophanes of Colophon: fragments.p.198.

(5) Karl Popper*: The World of Parmenides*.p.p.36-38.

وفي تأويلي– الذي لا يرفض اقتراح بوبر بل يزيد عليه – **أن المهم عند إكسينوفانيس هو تقديم أساس طبيعي للاهوته كي ينقض اللاهوت الهوميري الهسيودي القائم على طبيعيات أسطورية؛ فالحد الأعلى للأرض غير مسكون بأية آلهة، مثل أورانوس؛ السماء كما تقول الأساطير، كما أن حدها الأسفل لا يوجد به (هاديس) الجحيم الرهيبة، ولا آلهة العذاب أو أي من آلهة العالم السفلي، عالم هاديس؛ فلا يوجد أصلاً عالم سفلي يمكن أن نصل إليه فضلاً عن أن يوجد به آلهة.**

وبذلك يهدم إكسينوفانيس تصور العالم الآخر من أساسه؛ كما صوره هوميروس في أساطيره، كما أنه يهدم في الوقت نفسه عالمَ كوري وهاديس وأورفيوس، والإيرينياتِ وكلب جهنم ذي الرؤوس الثلاثة، حارس الجحيم، ذلك العالم الذي كان جانبًا مهمًا من جوانب الديانة اليونانية؛ من ديونسية وأورفية.

- **السحب**

هناك تصور منسوب إلى إكسينوفانيس في الشذرة **(A32)**[1]، وفي المنحول إلى بلوتارخوس: "يقول إن الشمس تتجمع من حرائق صغيرة كثيرة. . . ويعلن أن الأرض بلا حدود، ولا يحيط بها الهواء في كل اتجاه، وأن كل الأشياء تأتي إلى الوجود من الأرض. ويقول إن الشمس والنجوم تأتي إلى حيز الوجود من السحب". ويقول في الشذرة **(B32)** عن **السحابة** التي اعتبرتها الأساطير الشعبية إلهة:

ἦν τ' Ἶριν καλέουσι, νέφος καὶ τοῦτο πέφυκε,
πορφύρεον καὶ φοινίκεον καὶ χλωρὸν ἰδέσθαι.

(1) (A32) (Pseudo-Plutarch, *Miscellanies* 4). In Patrica Curd & Richard D .Mckirahan, A Pre-Socratics Reader, Selected Fragments and Testimonia,p.37.

"**الإلهة التي يسمونها إيريس (Iris) أيضًا إنما هي مجرد سحابة أرجوانية، قرمزية، وخضراء اللون كما تبدو للنظر**"[١]. تقدم الشذرة **(B32)** سردًا طبيعيًا لظاهرة يُنظر إليها عمومًا إما كإله أو علامة مرسلة من إله[٢]. وتقدم أيضًا **رؤية ثورية لطبيعة قوس قزح وطريقة جديدة لاكتساب فهم للطبيعة**[٣]. الشذرة السابقة تقول: "**إيريس أيضًا**" هي سحابة **(νέφος)** وكلمة "**أيضًا (καὶ)**[٤]" قد استنتج منها **جون بيرنت**[٥] أن الشيء نفسه قد قيل أيضًا على الشمس والقمر والنجوم، فقد ذكر لنا رواةُ الأخبار أن هذه الأجرام كان يُنظر إليها باعتبارها "**سحباً مشتعلةً بفعل الحركة**". **إن هذه الفكرة ترتبط كذلك بنظرة إكسينوفانيس العامة تجاه الدين الشعبي. وكان هدفه: إظهار أن الشمس والنجوم والسحاب ليست كائنات إلهية، بل هي مثل الأشياء الأخرى سريعة الزوال**[٦]. **ومن ثم ليست آلهة.** في حين **سوف يحفظ أفلاطون وأرسطو "لهذه الأحجار" ألوهيتها المقدسة/ المزعومة! كذلك يكون إكسينوفانيس– بهذا التصور المادي للنجوم والأجرام السماوية – قد هاجم بعنف ما كان شائعًا في عصره من تأليه النجوم والأجرام السماوية والصلاة لها.** فأعلن أن هذه الأشياء مجرد حجارة نارية مختلفة الألوان كما سوف يصرح بذلك فيما بعد **أناكساجوراس**، وأنها تخلو من أي مظهر إلهي. ولنا أن نتخيل مقدار الصدمة التي أحدثها فيلسوف كلوفونا في الوعي الديني الإغريقي بتصريحه بأن الشمس والنجوم ليست آلهة، إنما هي مجرد

---

(1) Xenophanes, (Scholium BLT on Iliad 11.27) Fr, 32, She that hey call Iris is a cloud likewise, purple, scarlet and green to behold. In J. Burnet, Early Greek Philosophy .p.120.

(2) J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon fragments.p.132.

(3) J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon fragments.p.136.

(4) Iris, this too, Fr, 32, In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon fragments.

(5) J. Burnet, Early Greek Philosophy, p 121.

(٦) ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية،، ترجمة، مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٤٠.

"تكثيف للسحب"؛ إذ انتزع التمثل اللاهوتي عن تلك الكينونات المضيئة، ليجعلها مجرد ظواهر طبيعية[١]!

ولا شك أن إكسينوفانيس كان يهدف من كل ذلك تقديم تفسيرات عقلانية جديدة للأجرام السماوية وإدانة الآلهة المجسمة، وليس تقديم نظرية علمية كاملة عن الأجرام السماوية [٢]. فلم يكن **أبيقور** إذن ولا حتى **ديموكريتوس** أول من جعل واجب الفلسفة الاستعانة بالعلم لإنقاذ البشرية من رهبة الآلهة سواء منها المقيمة أسفل الأرض، أو فوق في السماء، بل كان إكسينوفانيس هو أول من قام بذلك[٣].

وهكذا ينهار عالمُ الآلهةِ اليونانيةِ القديمةِ بكل صوره: الأوليمبية والسرية استنادًا إلى نفي التصور الكوسمولوجي الأسطوري القديم وبناء تصور كوسمولوجي جديد ومغاير: كوسموس لا تقطنه الآلهةُ الأسطورية!

- **فناء الكوسموس**

يقول ديوجينيس اللائرسي[٤]: "**كان إكسينوفانيس هو أول من أعلن أن كل شيء يوجد أو يخلق محكوم عليه بالفناء**". وهي فكرة تتفق مع مجمل تصورات إكسينوفانيس في الفيزيس والكوسموس، ومع تصوره للإله الأزلي الأبدي الباقي. الشذرات المتعلقة بآراء إكسينوفانيس حول الطبيعة هي فلسفية فقط كما في الاستخدام القديم لمصطلح "الفلسفة الطبيعية"، أي – مع بعض الشروط – "العلوم الطبيعية"[٥].

---

(١) الطيب بوعزة تاريخ الفكر الفلسفي الغربي: قراءة نقدية (٤)، كزينوفان والفلسفة الإيلية، ص ١٢١.

(٢) محمود السيد مراد: فلسفة التنوير عند كسينوفان، فلسفة التنوير عند كسينوفان، مجلة كلية الآداب بسوهاج، الجزء الأول، العدد الثالث والعشرين، سوهاج، مارس ٢٠٠٠م.ص ص٦٦، ٦٧.

(٣) محمود السيد مراد: فلسفة التنوير عند كسينوفان، ص ٦٩.

(٤) ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء التاسع، الفصل الثاني، فقرة ١٩، ص ١١٧.

(5) J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon fragments.p.137.

بداية يمكننا أن نسأل أنفسنا، مع ذلك، هل كان التفكيرُ العلميُ لإكسينوفانيس بسيطًا وسَاذَجًا حقًا؟ لقد رأينا بالفعل أن العديد من استنتاجاته تقوم على ملاحظة قوية. ومع ذلك، يؤدي الفحص الدقيق إلى الفهم الجديد بأن إكسينوفانيس يرغب في تطوير **علم كونيات موحد** يعتمد على مفهوم أن جميع الأجسام السماوية وظواهر الأرصاد الجوية هي في الواقع غيوم متفاوتة الكثافة والحرارة. يبدو أن هذا الإدراك الكوني الموحد لإكسينوفانيس، يميزه عن أفكار "الفلاسفة الفيزيائيين" الأيونيين بمعنى أنهم بينما يشيرون إلى السبب المادي الأول (على سبيل المثال ، الماء والهواء) كأصل كل شيء، فإن إكسينوفانيس سوف ينظر إلى الأجسام السماوية المختلفة والظواهر الجوية بشكل رئيس كنوع شائع من مظاهر السحب – كأحداث أو حوادث أو الظواهر، بدلاً من الأشياء. كان إكسينوفانيس أول من قدم تعميمًا جريئًا، حيث ربط سلسلة من الملاحظات المنفصلة بنظرية واحدة شاملة للجميع حول "السحب". هذه "الهوية النظرية"، كما تم صياغتها لأول مرة في الشذرات أعلاه، حيث "الشمس"، "القمر"، "النجوم"، إلخ **هي في الواقع "سحب"**[١].

لكن الموضوعات المحددة في أبحاثه تشير إلى أنه مارس العلوم الأيونية من أجل إزاحة نظرة دينية قائمة في الغالب على العلم الطبيعي. كما أوضح **فرانكل Fränkel:** "إن إكسينوفانيس يجرد الظواهر السماوية المرئية من جميع الجوانب الإلهية؛ بل أنه ينكر على هذه الظواهر جلالها وبقائها، وكذلك ينكر أصلها الإلهي السماوي، تمامًا كما يرفض، من ناحية أخرى، الاعتراف بكل المقارنات الممكنة بين إلهه والأجسام المادية ... **لقد جعل الهوة بين "هنا" و "الما وراء" لا يمكن جسرها"**[٢].

---

(1) Constantine J. Vamvacas, , The Founders of Western Though The Presocratics, A Diachronic Parallelism Between Presocratic Thought and Philosophy and the Natural Sciences, Translated from the original Greek version into English by Professor Robert Crist of the University of Athens, Greece Springer, 2009. P. 87.

(2) J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon fragments.p.138.

والآن لنتعرف على مزيد من الجوانب اللاهوتية لفلسفة إكسينوفانيس الطبيعية؛ وهي جوانب تتعلق بالجانب اللاهوتي كما أنها تتعلق بالأساس – المستمد من فلسفة الطبيعة – الذي أقام عليه إكسينوفانيس صرح نقده للعقل الأنثربومورفي:

ثالثًا: الثيولوجيا المؤسسة على الفيزيقا

فيما يتعلق بإكسينوفانيس أتصورُ أنه قد أقام لاهوته وفلسفته الدينية على أساس تصوره المادي الطبيعي للكوسموس أولاً. ثم مستخلصًا الجوانب الثيولوجية المتضمنة في فلسفة الطبيعة ثانيًا. وأخيرًا ما يترتب على كل ذلك من نتائج. وعلى ذلك؛ يمكن إجمالُ التساؤلات اللاهوتية، التي تثيرها فلسفةُ الطبيعة الإكسينوفانية، في ثلاثة أسئلة رئيسة:

- **هل الكون محدود أم غير محدود؟**
- **هل الوجود واحد أم كثير؟**
- **هل الطبيعة هي الإله؟**

لنحاول أن نتلمس إجابةً معقولةً وفقًا لأسس الفلسفة الطبيعية الإكسينوفانية، وذلك على النحو الآتي:

١. **حدود الكوسموس**

إذا انتقلنا الآن من تصور إكسينوفانيس لأصل الكون وتصوره لأرضه وسمائه وقمره ونجومه، إلي تصور الكون كله. فنجد الرأي مختلفًا فيما إذا كان الكون – في رأي إكسينوفانيس– **محدودًا أم لا محدودًا؟**

في رواية **سيمبليكيوس*** عن **ثيوفراستوس**[١] يذكر عنه أنه تصور الكون على أنه **كرة: "العالم دائري ومتناه؛ وتبعًا لهذا كان يقول بأن الكونَ محدود"**. وعلى ذلك يكون

* سيمبليكيوس (Simplicus)– المعلق في القرن السادس على أرسطو ، تلميذ أمونيوس، ومصدر مهم لتعاليم الفلاسفة ما قبل سقراط.

(1) Simpl. Phys.p.23.18.

ثيوفراستوس قد فسر الشكل الكروي للعالم بأنه محدود ومتناه، مثلما سيقول بارمينيديس من بعده. في حين أن أرسطو[١] يقول: "إنه- أي إكسينوفانيس- **لمْ يعطْنا عبارة واضحة" عما إذا كان الكون محدودًا أم غير محدود، متناهيًا أم غير متناهٍ**". وبعضٌ آخرُ من هذه الروايات تجعله يقول إن الكون لا محدود، وبذلك يعده أصحابُ هذه الروايات تلميذًا لأنكسيماندروس خاصة. وقد ذكر **ثيوفراستوس** صراحةً أن إكسينوفانيس كان تلميذًا لأنكسيماندروس[٢].

أقترحُ- كفرضٍ تأويلي محتملٍ- أن تصور إكسينوفانيس للكون **كان محدودًا** وهذا يتضح من نصوص إكسينوفانيس نفسها؛ فقد تصور **أن الكون يأتي من الطين وإليه يعود. وحدثنا أيضًا عن تفاصيل نشأة هذا الكون وبنى استنتاجاته على أساسٍ طبيعي، بله تجريبي**؛ فقد لاحظ المستحثات والأصداف واستنتج أن الجنس البشري سيفنى بفعل طغيان الماء على اليابسة، ولا يمنع أن الكون سيعود – على فرض صحة نسبة ذلك إلى إكسينوفانيس- مرة أخرى وتكرار هذه العودة، لا يمنع ذلك من اعتباره محدودًا. وقد رأي أن الشمس تولد كل صباح وتموت في المساء ويولد غيرها وهكذا. أما تصور الحد الأعلى والأسفل للأرض بأنهما ممتدان بلا نهاية. فلا يستلزم ذلك مباشرة القول بأن العالم غير محدود لأن كل ما يفنى ويولد من جديد فهو محدود. **وإذا كان الكون غير محدود تكون قد انتفت عنه صفة الألوهية تمامًا. وهذا هو الهدف الأساس الذي يريد أن يصل إليه إكسينوفانيس من فلسفته الطبيعية.**

أما هؤلاء الذين قالوا بأن الكون غير محدود فلا يملكون على ذلك دليلاً مقنعًا، بل الشواهد الطبيعية التي أوردها إكسينوفانيس- وكأنه عالم جيولوجي معاصر – لا تدع مجالاً للشك بأن الكون الذي كان يتصوره – بناء على هذه الشواهد العلمية – هو كون محدود ومحدود للغاية.

---

[١] أرسطو: الميتافيزيقا، الكتاب الأول، مقالة الألفا الكبرى، ف ٥، ٩٨٦ ب ٢٢، ص ٢٧٨.

[٢] عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤م. ص٢٦٩.

وأرى أن الذي دفع هؤلاء إلي القول بأن الكون غير محدود هو فكرتهم المسبقة عن أن إكسينوفانيس قد نادى بوَحْدَة الوجود. فالقول بوَحْدَة الوجود هو الذي دفعهم إلي القول بأن الكون غير محدود في تصوره، حتى يتسنى لهم دمج "**الإله غير المحدود**" بـ "**الكون غير المحدود**" في هُوية وجودية واحدة!

٢. الوَحْدَة والكثرة

المسألة الأخرى المهمة هي: **هل تصور إكسينوفانيس الوجود واحدًا أم كثيرًا ؟**

نجد أولاً أن **أفلاطون** يقول عن **إكسينوفانيس** إنه قال: "**إن الكل واحد**". ونرى **أرسطو** يقول: "إن إكسينوفانيس كان أول من قال بثبات الوجود ووحدته". وردد هذه الأقوال بما لا يدع مجالاً للشك– **ثيوفراستوس**[١] ثم هيبوليتوس[٢] والعبارة التي تنسب إلي إكسينوفانيس–بصيغ متعددة– في هذا الصدد هي أنه قال: "**إن الإله يظل دائمًا كما هو لا يتحرك ولا يتغير**". ولما كان الإله والطبيعة شيئًا واحدًا، **كما عند أيتيوس**[٣]: "**إكسينوفانيس (يقول ذلك) العالم غير مولّد وأبدي لا يفسد**". فالوجود أيضًا على هذا الأساس يظل شيئًا واحدًا. فعلى أي نحو نستطيع أن نفهم هذه الفكرة ؟

إن تأويلي المقترحَ يرى أن وَحْدَةَ الكونِ التي يمكن أن يكون قد نادى بها إكسينوفانيس، طبقًا للشهادات التاريخية المتعددة، ووَحْدَةَ الإلهِ أيضًا لا يحتمان أن هذه الوَحْدَة هي تلك الوَحْدَة، أو أن هذه الوَحْدَة قد حلتْ في تلك الوَحْدَة. إن ما أقترحُه هو أنَّ الإلهَ واحدٌ عند إكسينوفانيس، وكذلك الكون واحد؛ إن إكسينوفانيس لمْ يقلْ بوَحْدَةٍ مطلقةٍ؛ ولمْ ينكرْ التغيرَ والصيرورةَ في الكون. وهذا التغير وتلك الصيرورة مهما كانت جزئية، ولا تسري إلا على التفاصيل دون أن تسري على الكل

(1) (A31), Theophrastus *Opinions of the Inquirers into Nature*, fragment 5; Diels, 4801. In Lesher, Xenophanes of Colophon: Fragments .p. 191.

(2) (A33), Hippolytus. Refutation of All Heresies 1.14 (Diels, 565; Wendland, 17). In Lesher. p. 193.

(3) (A37), Aëtius, 2.4.11 (Diels, 332) ,In Lesher, Xenophanes of Colophon: Fragments, p. 195.

فإنها– على أي حال– تجعل القولَ بالوَحْدَة المطلقةِ عند إكسينوفانيس قولاً مشكوكًا فيه جدًا. وكل ما يمكنني قوله هو: **إنَّ وَحْدَةَ الكونِ تختلف عن وَحْدَةِ الإلهِ؛ فوحدة الإله مطلقةٌ بينما وَحْدَة الكون نسبيةٌ تنظر إلي العالم ككل– نظرةً عقليةً تتجاوز التفاصيل– دون أنْ تنكرَ التفاصيلَ، بلْ ولمْ ينكرْ إكسينوفانيس أن الظواهرَ في العالم حقيقيةٌ.**

على ذلك؛ تكون وَحْدَة الكون وَحْدَة مُتصورة، وغير كاملة، بينما وَحْدَة الإله هي وَحْدَة كاملة ولكن كلاهما– وَحْدَة الكون ووَحْدَة الإله– وحدتان منفصلتان كلا منهما عن الأخرى.

ولا توجد ضرورةٌ لأن نحمّلَ نصوصَ إكسينوفانيس ما لا تحتمل ونضفي عليها من تصوراتنا ما ليس فيها. وأرجحُ أن الذي دفع هؤلاء إلي اعتبار إكسينوفانيس قد قال بالوَحْدَة، ومن ثم جعلوه مؤسسًا للمدرسة الإيلية وأستاذًا لبارمينيديس، هو قول إكسينوفانيس بالوحدة الإلهية. غير أنهم نقلوا هذه الوحدة الإلهية وأسقطوها على الكون المادي؛ الذي رأتْ فلسفةُ إكسينوفانيس الطبيعية أنه يفنى والذي أثبتتِ المستحثاتُ تطورَه وارتقاءَه التدريجيين من امتزاج التراب والماء. ومن ثم عدم كماله وتناهيه في حين أن الإله – وحده حسب ما تصفه نصوص إكسينوفانيس– هو الكامل واللامتناهي، والذي لا يخضع للتطور، بل لعل هذا هو الذي دفع إكسينوفانيس بان يقول بثبات الإله وعدم تحركه.

- **الإله واحد والطبيعة كثيرة**

أقترحُ – مع **إرييه فنكلبيرج**[1] – أن المفهوم التجريدي للألوهية الذي جاء به مذهب إكسينوفانيس هو نقطة التحول **(the turning–point)** في الفكر قبل

(1) Aryeh Finkelberg, The Milesian Monistic Doctrine and theDevelopment of Presocratic Thought, Hermes, 117. Bd., H. 3 (1989), pp. 257-270.p.266.

السقراطي المبكر. **الثابت** أن إكسينوفانيس قد قرر في نصوص صريحة: **أن إلهه الحق هو إله واحد،** كما يقول في الشذرة **(B23)** التي رواها **كليمنت السكندري**[١]:

«εἷς Θεός, εν τε θεοίσι καί ανθρώποισι μέγιστος ούτε δέμας θνητοίσι όμοιος ουδέ νόημα».

"إنه إله واحد (εἷς Θεός)، الأعظم (μέγιστος) بين الآلهة والبشر، لا مثيل له بين البشر، لا في صورته ولا في عقله (οὔτι δέμας θνητοῖσιν ὁμοίιος οὔτε νόημα)"[٢]. وهذه الصفات تعني أن إله إكسينوفانيس، **بلا جسد (ἀσωματος)**. عكس الطبيعة ذات الهُوية المادية الواضحة.

٣. الفيزيس والإله الإكسينوفاني

بقيت نقطة على جانب كبير من الأهمية وعلينا أن نناقشها هنا ونحن بصدد تحليل فلسفة إكسينوفانيس الطبيعية وتجلياتها اللاهوتية. وتتعلق هذه النقطة بوصف إكسينوفانيس أحيانًا الفيزيس/ φύσις "**الطبيعة**" بـ **الثيوس**/ Ὁ θεός "**الإله**" فهل يعني ذلك أن إكسينوفانيس قد وحد بين الفيزيس أو **الكوسموس الواحد** وبين "**الإله الواحد**"؛ ومن ثم يكون لدى الذين نادوا **بوَحْدَة الوجود** عند إكسنيوفانيس دليل على ذلك المذهب؟

نتفق مع **جريجوري فلاستوس**[٣] في قوله–: "عند إكسينوفانيس فإننا نجد شيئًا مختلفًا تمامًا فعندما يسمى "**الطبيعة**" بـ" **الإله**" فهو لا يقصد إضفاء الطابع التشخيصي على الطبيعة". على ذلك؛ فعندما نجد تعبيرات عند إكسينوفانيس تصف الكون أو الطبيعة بأنها الإله، فإن ذلك يعني أن إكسينوفانيس **لا يقصد من ذلك التعبير بأن**

---

(1) Xenophanes, Fr, 23,) Clement, Miscellanies 5.109 ، In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon: fragments.

(2) Xenophanes, Fr, 23, One god, the greatest among gods and men, neither in form like unto mortals nor in thought. . . . In J. Burnet, Early Greek Philosophy. p.119.

(3) Gregory Vlastos, Equality and Justice in Early Greek cosmologies, in Furley and Allen: Studies in presocratic philosophy, Vol. 11, Ed. By R.E. Allen & D.J. Furly, Routledge & Kagen Paul, New York, 1975, P. 94.

الطبيعة هي الإله أو أن الإله هو الطبيعة. بل يأتي هذا الوصف في سياق خاص جدًا، وهو سياق يتعلق بنقده الحاد لكل من هوميروس وهسيودوس: اللذين ألَّها الطبيعةَ وألَّها مظاهرَها المتنوعة. أما الذين يقتطعون كلمات إكسينوفانيس من سياقها فإنهم يذهبون في تفسيرها مذاهب عجيبة مثل القول بوحدة الوجود أو الحلول. وهي مصطلحات ربما تكون من اختراع قائليها لا من فهم نصوص إكسينوفانيس وفلسفته الطبيعية؛ لذا كان مهمًا البدءُ بدراسة الطبيعة عند إكسينوفانيس واستخلاص النتائج اللاهوتية المترتبة عليها. فذلك ربما هو ما يضمن لنا فهمًا لعلَّه يكون فهمًا مقاربًا لنصوص الكلوفوني.

- **الإله لمْ يولدْ ولا يموت**

إذا كان الكوسموس يفنى ويموت فإن الإله عند إكسينوفانيس هو على العكس من ذلك فهو– كنتيجة تحتمها فلسفته الطبيعية لم يولد ولا يموت. حيث يذكر **أرسطو في كتابه الريطوريقا**[١] **:"اعتاد إكسينوفانيس على أن يجادل في مقولة أن الآلهة تولد باعتبارها مقولة آثمة؛ كالقول بموت الآلهة، لأنه يترتب على القول بمولد الآلهة، أو وفاتهم أنه في وقت من الأوقات لا توجد آلهة"**[٢]. وفي كتابه "**فن الشعر**" يذكر **أرسطو**[٣] أن إكسينوفانيس كان يطعن في الصفات التي يتصورها العامة في حق الآلهة وأن هذه الصفات ليست إلا: "**مجرد ما يظنه الناس عنها**".

---

(1) (A12) In Patrica Curd & Richard D .Mckirahan, A Pre-Socratics Reader, Selected Fragments and Testimonia.p.36.

(٢) محمد عبد الغني السيد: التوحيد في الفكر اليوناني القديم، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، الكتاب السنوي الرابع، القاهرة، ٩٩ – ٢٠٠٠م، ص ١٥٤. وانظر أيضًا:
Aristotle: Rhetoric, The works of Aristotle,Vol. 2, 1399 b, 5-10, Aristotle: Rhetoric, The works of Aristotle, vol.1, Trans by R.P.Hardie and R.K.Gaye, in: Great Books of The Western World, ed by: R. M Hutchins, Vol 8, William Benton Publisher, Encyclopaedia Britannica, Chicago, London, 1952.p.648.

(٣) أرسطو : فن الشعر، ف ٢٥، ٢، ترجمة إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٢١٧.

وفي الشذرة **(A13)** ما يرويه **بلوتارخوس** في أكثر من موضع من كتبه، يجادل المصريين وهم ينشدون القصص عن إيزيس وأوزوريس ويقيمون طقوس الحداد، في حزنهم على آلهتهم، التي تموت: في كتابه "**عن المحبة**" يقول بلوتارخوس[١]: "**وحث إكسينوفانيس المصريين، إذا اعتبروا أوزيريس فانيًا، على عدم تكريمه بقدر ما هو فانٍ، ولكن إذا اعتبروه إلهًا، أن لا يحزنوا عليه**". ويقول في كتابه "**عن إيزيس وأوزيريس**"[٢]: "**عن حق أن إكسينوفانيس الكولوفوني أصر على أن المصريين عليهم ألا يرثون آلهتهم إذا اعتبروهم آلهة، وإذا كانوا يرثونهم، فعليهم ألا يعتبروهم آلهة**". وفي كتابه "**عن الخرافة**"[٣] يقول: "**إذا كانتْ هذه آلهة، فلا تبكوا عليهم؛ وإذا كانوا بشرًا فلا تضحوا لهم**".

ووصف الإله **بعدم التنفس** فيه إبعاد عن صفات البشر، وكما يقول **ديوجينيس لائيرتيوس**[٤]: " كان إكسينوفانيس هو أول من أعلن **أن كل شيء يوجد أو يخلق محكوم عليه بالفناء (γιγνομενον φθαρον εστι)**، وأن الروحَ هي **النَفَس** أو **التَنَفُّس (πνευμα)**".

ومن الصفات المهمة للغاية والتي يصف بها إكسينوفانيس الإله صفة: **أزلي أبدي: سرمدي**، وهي عكس الصفات التي وصف بها الفيزيس، وفي ذلك يقول، برواية **ديوجينيس لائرتيوس**[٥]: "**إن جوهر (ουσια) الإله كُروي الشكل، وأنه لا يشبه الإنسان على أي صورة. وإلى أن الله هو البصر الخالص، وهو السمع الخالص،**

---

(1) (A13) Plutarch On Loving 18.12.763d. Plutarch *On Loving* 18.12.763d.In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon :fragments.P.183.

(2) (A13) Plutarch On Isis and Osiris 70.379b.In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon :fragments.P.183.

(3) (A13) Plutarch *On Superstition* 13.171e. In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon :fragments.P.183.

(٤) ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء التاسع، الفصل الثاني، فقرة ١٩، ص ١١٧.

(5) Diogenes Laretius, Lives of Eminent Philosophers, IX, 19, p.427.

غير أنه لا يتنفس. وإلى أن الله هو العقل الكلي أو الشامل، وهو الفكر، وإلى أنه سرمدي"[١].

وفي المنحول إلى **أرسطو**[٢] من كتاب "في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي جورجياس": "إذًا يلزم أن يستنتج من كل هذا أن **الله أزلي**". وهذه عبارة إكسينوفانيس إذ ذكر في آخرها أنه "**أبدي**". وقول إكسينوفانيس بأن الإله هو البصر الخالص، والسمع الخالص، وأنه لا يتنفس، وأنه هو العقل الكلي أو الشامل، وهو الفكر، وإلى أنه **سرمدي: أبدي** يعني أنه لم يولد من إله قبله كما هو الحال بالنسبة لزيوس مثلاً في الأساطير الهومرية الهسيودية.

- **الإله ثابت والطبيعة متحركة**

يرى إكسينوفانيس أن الإله من صفاته الثبات وعدم الحركة وأنه يبقى في الموضع ذاته على الدوام، لا يتحرك على الإطلاق: "**فليس من اللائق بالإله** أن يتحرك هنا وهناك مغيرًا من مكانه. في رواية **سكستوس سيمبليكوس (B25)**[٣]: "**ἀλλ᾽ ἀπάνευθε πάνοιο νόου φρενὶ πάντα κραδαίνει**" أي؛ "**ولكن بدون عناء، يحرك (κραδαίνει) كلَ الأشياء (πάντα) بقوة عقله**"[٤]. **أو: "يمكنه أن يهز (κραδαίνει) كل الأشياء (πάντα) بدون عناء (ἀπάνευθε) بفكر عقله (νόου φρενὶ)**".

---

(١) ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء التاسع، الفصل الثاني، فقرة ١٩، ص ١١٧.

(٢) أرسطو (المنحول): في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غرغياس"،،ب ٣ ف ٢، ترجمها من الإغريقية إلى الفرنسية بارتلمي سانت هلير، ونقله إلى العربية، أحمد لطفي السيد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م ، ص ٣٠١.

(3) (Simplicius, Commentary on Aristotle's Physics 23.19). Fr, 25, In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon fragments.

(4) Xenophanes, Fr, 25, In J. Burnet, Early Greek Philosophy .p.119.

إن الإله الإكسينوفاني- مثل الإله الأرسطي- غير متحرك ولكنه قادر على نقل الحركة إلى الكون بأكمله عن طريق فكره وحده[١]. وعلى هذا فإن "من خلال الممارسة النشطة للفكر من عقله" سيكون الحد الأدنى من الوصف الضروري للتأكيد على أن الكون مرتبط سببيًا بالذكاء الإلهي[٢]. وهي فكرة أكثر عقلانية من فكرة أرسطو الشاعرية التي ملخصها أن سبب حركة العالم هي العشق - الشوق الذي يحرك العالم في اتجاهه نحو الإله! ونلاحظ هنا تفرقة واضحة بين الإله والعالم فالإله غير المتحرك يختلف عن الأشياء "πάντα"[٣] التي يحركها فليس ثمة هُوية بين الإله والعالم.

وفي رواية سيمبليكيوس (B26)[٤]:

αἰεὶ δ' ἐν ταυτῶ μίμνει κινούμενος οὐδέν,
οὐδέ μετέρχεσθαί μιν ἐπιπρέπει ἄλλοτε ἄλλη

أي؛ "**وهو يبقى في الموضع ذاته على الدوام، لا يتحرك على الإطلاق، فليس من اللائق بالإله أن ينتقل إلى مواضع مختلفة في أوقات مختلفة**"[٥]. أو: "**يبقى دائمًا في نفس المكان، ولا يتحرك على الإطلاق** "**κινούμενος ουδέν**"" لأنه "**ليس من المناسب له أن ينتقل "μετέρχεσθαί" إلى أماكن مختلفة في أوقات مختلفة**". هنا- مرة أخرى- ينتقد إكسينوفانيس **التشبيه الهوميري للإله.** فعند هوميروس يعد التحرك السريع للإله علامةً واضحةً تدل على قوته[٦] . بينما يجعل إكسينوفانيس إلهه ثابتًا؛ لأنه يرى في ذلك الثبات علامة لسمو الإله، وبعده عن نزعة التجسيم، كما

(1) J.H. Lesher, A Systematic Xenophanes?.p 13.
(2) J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon: fragments.p.107.
(3) Aryeh Finkelberg, Studies in Xenophanes, Harvard Studies in Classical Philology, Vol. 93 (1990), pp. 103-167.p.110.
(4) (Simplicius, Commentary on Aristotle's Physics 23.10) Fr, 26, In J.H. Lesher, Xenophanes of Colophon: fragments.
(5) Xenophanes, Fr, 26, In J. Burnet, Early Greek Philosophy, p. 120.
(٦) هوميروس: الإلياذة، كتاب ٨، أبيات، ٤٣٨-٣٩، ص ٣٢٨.

يبدو جليًا من كلماته التبجيلية حين يقول: " فليس من **اللائق** أو **الملائم** بالإله أن يتحرك"[١].

لقد قام إكسينوفانيس– على حد تعبير **إيفا جيلوس موتسوبولوس**–[٢] **بتنظيم لاهوت فلسفي**؛ تأمل **الكون** بعقله ووجدانه، واهتدى إلي أنه لابد لهذا الكون من إله واحد وينبغي تنزيهه عن كل نقص، ليس هو والطبيعة في هوية واحدة.

خلاصة تأويلية

النتائجُ الجزئيةُ موزعةٌ على صفحات البحث. بقى أنْ أشيرَ إلى أهم نتائجه العامة، على النحو الآتي:

- لقد بدأ إكسينوفانيس تصوراتِه الفلسفيةَ – مثلما بدأ فلاسفةُ ميليتيوس تمامًا– من تصورٍ للطبيعة ليقيم عليه صرحَ لاهوتٍ جديد، على أنقاض الثيولوجيا الهومرية الهسيودية.
- أقترحُ أنَّ الأساسَ الذي انطلقَ منه إكسينوفانيس في تأسيس لاهوته الفلسفي الجديد هو الفيزيس، وعلى ذلك؛ تكون الطبيعة هي المقدمة التأسيسية للاهوت الإكسينوفاني.
- **إنَّ إكسينوفانيس قدَّم فلسفةً طبيعيةً تجاوزتِ السائدَ في عصره، وفي ذلك إعادةُ الاعتبار للفلسفة الإكسينوفانية، التي حاول أرسطو قديمًا، وحاول باحثون كُثُرٌ من بعد أرسطو إلى عصرنا الحاضر، نفيَها وإلقاءَ صاحبها إلى زوايا النسيان.**

---

(1) W. Jeager, The Theology of The Early Greek Philosophers, At Clarendon Press, Oxford, London. 1948.p. 45.

(٢) إيفا جيلوس موتسوبولوس: من الأسطورة إلى المنطق، ترجمة ودراسة وتعليق، هدى الخولي، مشروع جامعة القاهرة للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٨٨.

- **قام إكسينوفانيس بالمحاولة الأولى والأولية، لإرساء منهج الملاحظة والاستقراء بطريقته الميثودولوجية في ملاحظة واستقراء المستحثات، ويُعد بذلك أحدَ مؤسسي الميثودولوجيا العلمية الأوربية.**
- **إنه لكي نفهم نصوص إكسينوفانيس على ما هي عليه أقترحُ البدءَ بدراسة فلسفته الطبيعية أولاً؛ إذ على نظراته للفيزيس والكوسموس أسس ثيولوجيا هي الأولى من نوعها في العالم القديم، وأعني بها ثيولوجيا التوحيد الإلهي.**
- **إن الثيولوجيا الإكسينوفانية هي ثيولوجيا قد تم تأسيسها على ميثودولوجيا فيزيقية خالصة أو شبه خالصة.**

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

- **المصادر المترجمة إلي اللغة العربية**

١. أرسطو : فن الشعر، ترجمة إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢.

٢. ---- : في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غرغياس"، ترجمها من الإغريقية إلى الفرنسية بارتلمي سانت هلير، ونقله إلى العربية، أحمد لطفي السيد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٣. ----: الميتافيزيقا، ترجمة كاملة لكتاب ميتافيزيقا أرسطو، إمام عبد الفتاح إمام، ضمن كتابه: مدخل إلى الميتافيزيقا، الطبعة الرابعة، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٤م.

٤. أفلاطون: القوانين، ترجمه من اليونانية إلى الإنجليزية تيلور، نقله إلي العربية: محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.

٥. ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل اليوناني، محمد حمدي إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م.

٦. هوميروس: الإلياذة، تحرير ومراجعة أحمد عتمان، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٤م.

- **المصادر المترجمة إلي اللغة الإنجليزية:**

7. Aristotle: Rhetoric, The works of Aristotle, vol.1, Trans by R.P.Hardie and R.K.Gaye, in: Great Books of The Western World, ed by: R. M Hutchins, Vol 8, William Benton Publisher, Encyclopaedia Britannica, Chicago, London, 1952.
8. Diels (Hermann) & kranz (Walther), Die Fragmente der Vorsokratiker, Weidmannsche Verlagsbuchhandlung, Berlin-Neukölln, 1960.
9. Laretius (Diogenes): Lives of Eminent Philosophers, Vol. 11, Trans by: R. D. Hicks, M.A. Cambridge, Massachusetts, Harvard university Press, London, 1972.
10. Lesher (J. H.), Xenophanes of Colophon: Fragments, a Text and Translation with a Commentary. University of Toronto.2001.
11. Hesiod, Theogony, Works and Days, Testimonia, edited and translation by Glenn W. Most. Harvard university press, London, 2006.

ثانيًا- المراجع:

- **المراجع العربية**

١٢. بدوي، (عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٨٤م.

١٣. بوعزة، (الطيب): تاريخ الفكر الفلسفي الغربي، قراءة نقدية (٤)، كزينوفان والفلسفة الإيلية، قراءة في أطاريح كزينوفان، برمنيد، زينون، ميليسوس، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت،٢٠١٦.

١٤. سارتون (جورج): تاريخ العلم، الجزء الأول، ترجمة، لفيف من العلماء بإشراف إبراهيم بيومي مدكور، دار المعارف، القاهرة،١٩٩١م.

١٥. ستيس، (وولتر): تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة، مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٦. السيد، (محمد عبد الغني): التوحيد في الفكر اليوناني القديم، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، الكتاب السنوي الرابع، القاهرة، ٩٩ – ٢٠٠٠م

١٧ . عبد الحميد (شرف الدين): كسمولوجيا العناصر عند أمبادوكليس، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، المؤتمر الدولي الخامس، الكلمة والصورة في الحضارات القديمة ، الجزء الثاني، القاهرة، ٢٠١٤م.

١٨. غادامير (هانز جورج): بداية الفلسفة ، ترجمة على حاكم صالح و حسن ناظم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٢م.

١٩. مراد، (محمود السيد): فلسفة التنوير عند كسينوفان، مجلة كلية الآداب بسوهاج، الجزء الأول، العدد الثالث والعشرين، سوهاج، مارس ٢٠٠٠م.

٢٠. موتسوبولوس (إيفا جيلوس): من الأسطورة إلى المنطق، ترجمة ودراسة وتعليق، هدى الخولي، مشروع جامعة القاهرة للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م.

٢١. **نيتشه (فردريك):** الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، تعريب سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١م.

- **مراجع باللغة الإنجليزية:**

22. Bicknell (P. J.), A Note on Xenophanes' Astrophysics , Acta Classica, Classical Association of South Africa , Vol. 10 (1967).
23. Burnet (J.) ,Early Greek Philosophy, 4 th ed, Adam & Charles-Black, London, 1975.
24. Cherniss (Harold), The Characteristics and Effects of Presocratic Philosophy, Journal of the History of Ideas, University of Pennsylvania Press, Vol. 12, No. 3 (Jun., 1951).
25. Cleve,(F. M.) The Giants of Presophistic Philosophy, An Attempt to Reconstruct their Thoughts, The Hague, Third Editions, Part One, 1973.
26. Curd (Patrica) & Mckirahan (Richard D), A Pre-Socratics Reader, Selected Fragments and Testimonia, Hackett Publishing Company, Inc. Indianapolis, Cambridge, Second Edition, 2011.
27. Feyerabend (Paul), Reason, Xenophanes and the Homeric Gods, Kenyon Review, New Series, Vol. 9, No. 4 (Autumn, 1987)

28. Finkelberg (Aryeh) , Studies in Xenophanes, Harvard Studies in Classical Philology, Vol. 93 (1990).
29. _____, The Milesian Monistic Doctrine and the Development of Presocratic Thought, Hermes, 117. Bd., H. 3 (1989.
30. Freeman (K.) The Pre-Socratic philosophers, 2nd ed. Basil Black Well Oxford, London 1959.
31. Granger (Herbert), Poetry and Prose: Xenophanes of Colophon, the American Philological Association (1974-2014), Vol. 137, No. 2(Autumn, 2007).
32. Jeager (W.),The Theology of The Early Greek Philosophers, At Clarendon Press, Oxford, London. 1948.
33. Kirk (G. S.) & Raven (J. E.), The Presocratic Philosophers, Cambridge At The University Press, 1957.
34. Naddaf (Gerard), The Greek Concept of Nature, State University of New York, 2005.
35. Osborne (Catherine), Presocratic Philosophy, A Very Short Introduction, Oxford University Press Inc., New York, .2004.
36. Papazian (Michael), Gods and fossils: Inference and scientific method in Xenophanes's philosophy ,in Philosopher Kings and Tragic Heroes, Essays on Images and Ideas from Western Greece Edited by : Heather L. Reid, Davide Tanasi, Parnassos Press – Fonte Aretusa, 2016.
37. Popper (Karl), The Unknown Xenophanes An Attempt to Establish his Greatness, In The World of Parmenides, Essays on the Presocratic Enlightenment, Edited by Arm F. Petersen, Routledge, London and New York, 1998.
38. Stamatellos (Giannis) , Introduction To Presocratics, A John Wiley & Sons, Ltd. Publication, UK, 2012.
39. Vamvacas (Constantine J.), The Founders of Western Though The Presocratics, A Diachronic Parallelism Between Presocratic Thought and Philosophy and the Natural Sciences, Translated from the original Greek version into English by Professor Robert Crist of the University of Athens, Greece Springer, 2009.
40. Vlastos (Gregory), Equality and Justice in Early Greek cosmologies, in Furley and Allen: Studies in presocratic philosophy, Vol. 11, Ed. By R.E.Allen & D.J. Furly, Routledge & Kagen Paul, New York, 1975,